16

الجزء السابع من كتاب الحيوان
للجاحظ ٥

نظر فيه
الفقير

[illegible] أول [illegible] إذا لم [illegible]

[illegible] أمري [illegible] نفسي [illegible]

[illegible] مالم يفعل

[illegible] فارس سيفها كالأعزل

[illegible] عينه مهمل

تم السابع من كتاب [illegible] بحمد الله ومنه وهو آخر الكتاب

[illegible] في شهور سنه ثمانين وخمس مائه

[illegible] على [illegible] محمد النبي وعلى آله

[illegible]

وحسبنا الله ونعم الوكيل



الجزء السابع من كتاب الحيوان
للجاحظ

نظر فيه
الفقير

الجزو الرابع

٤٠٠

الجزء ... الحيوان

١٥

١

فهرست كتاب

تم في ١١٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ونسألك الهداية الى صراط المستقيم
وصلى الله على محمد خاصة وعلى انبيائه عامة ونعوذ بالله ان تدعونا
المحبة لتمام هذا الكتاب الى ان نصل الصدق بالكذب وندخل
الباطل في تضاعيف الحق ونتكثر بقول الزور او نلتمس تقوية ما فيه
باللفظ الحسن وستر قبيحه بالتأليف الموثق او نستعين على ايضاح
الحق الا بالحق وعلى الافصاح عن الحجة الا بالحجة او نستميل الى
دراسته واجتبائه ونستدعي الى تفضيله والاشادة بذكره بالاشعار
المولدة والاحاديث المصنوعة والاسانيد المنحولة وبما لا شاهد
عليه الا دعوى قائله ولا مصدق له الا من لا يوثق بمعرفته ونعوذ
به من فتنة القول وخطله ومن الاسهاب وتهجين اهله ومن الاعتماد
فيما [illegible] كثير من الناس من اهل هذا الزمان على حسن الظن والاتكال
فيما [illegible] فان كثيرا ممن يتكلف قراءة الكتب ومدارسته

اهل العلم يمقتون من جميع الكتاب على الكلمة الضعيفة واللفظة
السخيفة وعلى موضع من التأليف قد عرض له شيء من استكراه ونالة
بعض الاضطراب او كما يعرض في الكتب من سقط او تصحيف فلتات
التحبير ومن خطا الناسخ وسوء تحفظ المعارض وعلى [illegible] لعله ان لو
[illegible] بعقل غير متبلد وفطرة غير مدخولة وتصفحه وهو مجرس
من عوارض الحسد ومن بلادة الشرع ومن اخلاق [illegible] عن ان يتسع في
القول بمقدار ما تضيق صدره ويرسل لسانه ارسال الجاهل بكنه ما يكون
منه ولو جعل بدل شغله بقليل ما يرى من المذموم شغله بكثير ما يرى
من المحمود كان ذلك اشبه بالادب المرضي والخيم الصالح واشد
مشاكلة للحكمة وابعد من سلطان الطيش والعجلة واقرب الى
عادة السلف وسيرة الاولين ولجدير ان يهب الله له السلامة في كتبه
والدفع عن حجته يوم مناضلة خصومه ومقارعة اعدائه
وليس هذا الكتاب رحمك الله في كتاب الوعيد فتعيبه من عليه

المرجي ولسن هو في تفضيل علي فينصب له العثماني ولا هو في تصويب
الحكمين فيسخطه الخارجي ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضه
من يخالف التشديد ولا هو في تثبيت الاعراض فيخالفه صاحب
الاجسام ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة ومكة على المدينة
والشام على الجزيرة ولا هو في تفضيل العجم على العرب وعدنان
على قحطان وعمرو على واصل فيرد ذلك الهذيلي على النظامي ولا
هو في تفضيل مالك على ابي حنيفة ولا في تفضيل امري القيس على النابغة
وعامر بن الطفيل على عمرو بن معدي كرب وعباد بن حصين على
عبيد الله بن الحر ولا في تفضيل ابن سريج على الغريض ولا في تفضيل
سيبويه على الكسائي ولا في تفضيل الجعفي على الفافلاي ولا في
تفضيل حلم الاحنف على حلم معوية وتفضيل قتادة على الزهري فان
لكل صنف من هذه الاصناف شيعة ولكل رجل من هولا الرجال
جندا وعددا يخاصمون عنهم وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير

وعلماؤهم قليل وانصاف علمائهم اقل ولا تنكر هذا حفظك
الله انا رايت رجلين بالبصرة على باب موسى بن عمران تنازعا في العنب
النيروزي والرازقي فجرى بهما العنت حتى تواثبا فقطع الكوفي
اصبع البصري وفقا البصري عين الكوفي ثم لم البث الا يسيرا حتى
رايتهما متصافيين متنادمين لم يقفا قط على ما يغضب مما يرضي فكيف
وهما كذلك على مقادير طبقات الغضب والرضا والله المستعان
وقد نزل هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة
والتثبت عند الحجة جانبا واضربوا عنه صفحا فليس الا لا او نعم
الان قولهم لا موصول منهم بالغضب وقول نعم موصول منهم بالرضا
وقد عزلت الحرية جانبا وماتت ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر
القبيح والحسن قال عمرو بن الحرث كنا نبغض
من الرجال الريا والبخر ونحن اليوم نتمناهما وقد كتبنا من
كتاب الحيوان ستة اجزا وهذا الجزا السابع وهو الذي ذكرنا فيه

الفيل بما احضرنا من القول في شانه وفي جملة اسبابه والله الموفق
وانما اعتمدنا في هذه الكتب على الاخبار عما في اجناس الحيوان
من الحجج الظاهرة والادلة المترادفة على التنبيه على ما
جبلها الله من البرهانات التي لا تعرف حقايقها الا بالفكرة وغشاها
من العلامات التي لا تنال منافعها الا بالعبرة وكيف فرق
فيها من الحكم العجيبة والاحساس الدقيقة والصنعة اللطيفة
وما الهمها من المعرفة وحشاها من الجبن والجراة وبصرها ما
يقيمها ويعيشها واشعرها من الفطنة لما يحاول منها عن وقها
ليكون ذلك سببا للحذر ويكون حذرها سببا للحراسة
وحراستها سببا للسلامة حتى تجاوزت في ذلك مقدار حراسة
المجرب من الناس والخائف المطلوب من اهل الاستطاعة والروية
كالتي يروى من تجارب الغرانيق والكراكي واشكال
من ذلك كثيرة حتى صار الناس لا يضربون المثل الا بها ولا يذمون

فيمدحون الا بما يجدون في اصناف الوحش من الطير وغير ذلك
فقالوا احذر من عقعق واحذر من غراب واحذر من عصفور
واسمع من فرخ العقاب واسمع من قراد واسمع من فرس واجبن
من صفرد واسخى من لافظة واصنع من تنوط واصنع من
سرفة واصنع من الدبر واهدى من قطاة واهدى من حمام واهدى
من جمل وازهى من غراب وازهى من ذباب واجرا من الليث واكسب
من ذئب واخدع من ضب واروغ من ثعلب واعق من ضب
وابر من هرة واسرع من سمع واظلم من حية واظلم من ورل
واكذب من فاختة واصدق من قطاة واموق من رخمة
واحزم من فرخ العقاب وبينها تعالى وعز
على هذه المناسبة وعلى هذه المشاركة وامتحن ما عندنا ففضل بها
علينا في بعض الامور وتقدمنا عليها في اكثر الامور واراد
بذلك ان لا يخلينا من حجة ومن النظر الى عبرة والى ما يعود

عن الفكرة موعظة ولما كره لنا من السهو والاغفال ومن البطالة
والاهمال فجعلنا في كل لحو النا لا نفتح ابصارنا الا وهي واقعة على
ضرب من الادلة وعلى شكل من اشكال البرهانات وجعل ظاهرهما
فيهما من الايات داعية الى التفكير فيهما وجعل ما استخزنهما من اصناف
الاعاجيب نعرف بالتكشف عنهما لنهما ظاهر يدعوك الى نفسه ويشير الى
ما فيه ومنها باطن يدل بالامور نقه اذا افضيت الى حقيقته لتعلم
انك مع فضلة عقلك وتصرف استطاعتك اذا ظهر عجزك عن عمل ما هو
اعجز منك ان الذي فضلك عليه بالاستطاعة والمنطق هو الذي فضله
عليك بضروب اخر وانهما مسيران لما خلقتا له ومصرفان لما سخرتا
له وان الذي يعجز عن صنعة السرفة وعن تدبير العنكبوت في قلتهما
ومهانتهما وضعفهما وصغر جرمهما لا ينبغي ان يتكبر في الارض ويمشي
الخيلاء ويتكلم في القول ويتالى ولا يستثني ليعلم ان عقله منحة
من ربه وان استطاعته عارية عنده وانه انما يستبقي النعمة بادامة

الشكر والتعرض لسلبها باضاعة الشكر ثم حبب اليها طلب الذرء
والسفاد الذي يكون مجلبة للذرء وحبب اليها اولادها فحملها ونسلها
حتى قالوا اكرم الابل اشدها حنينا واكرم الصفايا اشدها
ولها الى اولادها وزاوج بين اكثرها وكثر بعضها من الطروقة
اذا لم يكن الزواج لها خلقا وجعل الف العرس لها عادة وفوقها
على المسافدة لتتم النعمة وتعظم المنة والهمها المبالغة في التربية
وحسن التعهد وشدة التفقد وسوى في ذلك بين الجنس
الذي يلقم اولاده تلقيما وبين الذي يرضعها ارضاعا وبين الذي
يزقها زقا وبين ما يحضن وما لا يحضن ومنه ما اخرجه من ارحام
البيض وارحام البطون كاسية ومنها ما اخرجها كاسبة كاسية
فامتعها والذها وجعلها نعمة على عباده وامتحانا لشكرهم وزيادة
في معرفتهم وجلاء لما تراكم من الجهل على قلوبهم
فليس لهذا الكتاب ضد من جميع من يشهد الشهادة ويصلي القبلة

صفة الدهري

ويأكل الذبيحة ولا ضد من جميع الملحدين ممن يقر بالبعث وينحل
الشرايع وإن الحد في ذلك وزاد ونقص إلا الدهري فإن الذي
ينفي الربوبية ويحيل الأمر والنهي وينكر جواز الرسالة ويجعل
الطينة قديمة ويجحد الثواب والعقاب ولا يعرف الحلال والحرام
ولا يعتقد بأن في جميع العالم برهانا يدل على صانع ومصنوع
وخالق ومخلوق ويجعل الفلك الذي لا يعرف نفسه من غيره
ولا يفصل بين قديم وحديث وبين المحسن والمسيء ولا يستطيع
الزيادة في حركته ولا النقصان من دورانه ولا معاقبة
السكون للحركة ولا الوقوف طرفة عين ولا الانحراف عن
الجهة هو الذي يكون به جميع الإبرام والنقض ودقيق الأمور
وجليلها وهذه الحكم العجيبة والتدابير المتقنة والتأليف البديع
والتركيب المحكم على حساب معلوم ونسق معروف على غاية من
دقايق الحكمة وإحكام الصنعة ولا ينبغي لهذا

الدهري أن يعرض لكتابنا هذا وإن دل على خلاف مذهبه ودعا
إلى خلاف اعتقاده لأن الدهري ليس يرى أن في الأرض دينا أو
نحلة أو شريعة ولا يرى للحلال حرمة ولا يعرفه ولا للحرام نهاية
ولا يعرفه ولا يتوقع العقاب على الإساءة ولا يرجو الثواب على
الإحسان وإنما الصواب عنده والحق في حكمه أنه والبهيمة
شيان وأنه والسبع شيان ليس القبيح عنده إلا ما خالف هواه وليس
الحسن عنده إلا ما وافق هواه وإن مدار الأمر على الإخفاق
والدرك على اللذة والألم وإنما الصواب فيما نال من المنفعة وإن قتل
ألف إنسان صالح لمنالة درهم رديء فهذا الدهري لا يخاف
إن نزل الطعن على جميع الكتب عقابا ولا لائمة ولا عذابا
دائما ولا منقطعا ولا يرجو إن ذمها ونصب لها ثوابا في عاجل ولا
آجل فالواجب أن يسلم هذا الكتاب على جميع البرية إذا كان
موضوعه على هذه الصفة ومجراه إلى هذه الغاية والله الكافي

والموفق بلطفه وتاييده انه سميع مجيب فعال لما يريد

ثم نرجع بالقول الى الاخبار عن الحيوان وباي شي تفاضلت
وباي شي خصت وبماذا ابينت وقد عرفنا ما اعطيت في الشم والاسترواح

قال الراجز وذكر الذيب

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفا الموقع

وقد عرفنا كيف شم السنانير والذباب والسباع والعجب من ذلك
وجدان الذرة لرايحة شي لو وضعته على انفك لما وجدت له رايحة
كرجل جرادة يابسة منبوذة كيف تجد رايحتها من جوف جحرها
حتى تخرج اليها فاذا تكلفت حملها فعجزت عنها كيف تستدعي اليها
ساير الذر وتستعين بكل ما كان منها في الجحر وكنحو شم
الفرس رايحة الحجر من مسيرة ميل والفرس يشم قدما والحجر
خلفه بذلك المقدار من غير تلفت ولا معاينة من جهة من
الجهات وهذا كثير وقد ذكرناه في غير هذا الموضع

فاما السمع فقد عرفنا من قولهم اسمع من فرس واسمع من فرخ العقاب
واسمع من كذا واسمع من كذا واكثر ما تقدم الى الحقير في خطره
واسمه والقليل في جثته وقدره وتقول العرب اسمع من قراد ويستدلون
بالقردان التي تكون حول الماء والبير فاذا كان ليلة القرب
وقد بعث القوم من يطلع لابلهم الارشية واداة السقي وبات الرجال
عند الماء تنتظر مجي الابل فربما تعرف قربها منهم في جوف الليل
بانتعاش القردان وشهوة حركتها وخشخشتها ومرورها
نحو الرغا ووجد الرغا ووقع الاخفاف على الارض من غير ان
يحس ولكن الرجال حسا او يشعر واحد من امرها فاذا استدلوا
بذلك من القردان نهضوا فلبوا واتزروا وتهيوا للعمل

فاما ادراك البصر فقد قالوا ابصر من الغراب وابصر من الفرس
وابصر من الهدهد وابصر من عقاب والسنانير والفار والجرذان
والسباع تبصر بالليل كما تبصر بالنهار

فاما الطعم

فنظن انها بفرط الشره وبفرط الاستمراء وبفرط الحرص والنهم ان
لذتها تكون على قدر شرهها وشهوتها وتكون على قدر ما ترى
من حركتها وظاهر حرصها ونحن قد نرى الجماع اذا طلب الاتان
والفرس والحجر والرمكة والبرذون والبغل والبغلة والتيس والعنز
فنظن ان اللذة على قدر الشهوة والشهوة على قدر الحركة وان
الصلح على قدر غلبة الارادة ونجد الرجال اذا انعظ اهم ذلك
لا يكونون كذلك الا في الوقت الذي هم فيه اشتغله وافرط
شهوة ۞ فان قال قايل ان الانسان يشتهي النساء
في كل حال من الفصلين والصميمين وانما يهيج السباع والبهايم
في ايام من السنة ثم يسكن هيج التيس والجمل فالانسان المداوم
احسن حالا ۞ قلنا انا لم نكن في ذكر المخايرة بين نصيب
الانسان في ذلك مجموعا ومفرقا وبين نصيب كل جنس من هذه
الاجناس مجموعا ومفرقا وانما ذكرنا نفس المخالطة فقط وما

اطلب ما يتلو في صحيفة ٥٣

في عظم ابن الفيل في زمن فرش ۞ وطول عيش جمل اذا دجن ۞
قال عمرو بن سعيد فرس الما يادخل التماسيح ۞ وقال يكون
في النيل خيول وفي تلك الجون يعني تلك الخلجان مثل خيول البر ۞
وهي تاكل التماسيح اكلا شديدا وليس للتماسيح في وسط الما سلطان
شديد الا على ما احتمله بذنبه من الشريعة ۞ قال وفرس
الما يوذن بطلوع النيل باثر وطيه حافره حيث وجد اهل مصر اثر ذلك
الرجل عرفوا ان ماء النيل سينتهي في طلوعه الى ذلك المكان ۞
وهذا الفرس ربما رعى الزروع وليس يبدا اذا رعى في ادنى الزرع
اليه ولكنه يحزر منه قدر ما ياكل فيبدا باكله من اقصاه ۞
فيرعى مقبلا الى النيل وربما شرب هذا الفرس من الما بعد الرعي ثم قاه
في المكان الذي رعاه فينبت ايضا والطير عندنا ياكل التوت
فيذرقه فينبت من ذرقه شجر التوت ۞ قال واذا اصابوا من
هذه الخيل فلوا صغيرا ربوه مع صبيانهم ونسايهم في البيوت ۞

ولم يزد على هذا الكلام شيئا • قال وفي سن من اسنانه
شفاء من وجع المعدة قال والنوبة وناس من الحبشة يأكلون
الحيات نية بغير نار ويشربون الماء العكر فاذا علقوا سن هذا
الفرس افاقوا • قال ولعفاج هذا الفرس تبرئ من
الجنون والصرع الذي يعتري مع الاهلة قال وكذلك لحوم بنات
عرس صالحة لمن به هذه العلة • قال وانما يكون
الانسان من مصايد الذيب اذا الفيه والارض مملوءة ثلجا فانه عند
ذلك يخمش وجه الارض ويجمعه ويضرب به وجه الرجل فارسا
كان او راجلا • قال ودقاق الثلج وغباره اذا اصاب وجه
الفارس سدر واسترخى وتحير واذا راى ما قد حل به فربما بعج
بطن الدابة ودس بعضها فتقبض الفارس فتصرعه ولا حراك به
فيأكله كيف شاء الا ان يكون الفارس مجربا ماضيا ماهرا فيشد
عليه عند ذلك بالسلاح وهو في ذلك يسير ويقطع المفازة و لا

وقالت جمرة الازدية لزوجها ابي وايل

لعمرك ما ان ابو وايل اذا ذكر القوم بالطايل •
فيا ليتني لم اكن عرسه وعوجلت بالحدث العاجل •

وقالت امراة من بني زياد الحارثي

فلا تامروني بالتزوج انني اريد كرام الناس او ابتل •
اريد فتى لا يملأ الهول صدره يريح عليه حلمه حين يجهل •
كمثل الفتى الجعد الطويل اذا غدا تعاليه الرمح الطويل او اطول •

وقالت امراة من باهلة

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا •
سليم دواعي الصدر لا باسطا اذى ولا مانعا خيرا ولا قايلا هجرا •
كمثل الفتى الذهلي يحسب وجهه اذا ما بدا في ظلمة طالعا بدرا •

وقال لبيد بن ربيعة

انما يحفظ التقى الابرار والى الله يستقر القرار •

والي الله ترجعون وعند الله ورد الامور والاصدار

ان يكن في الحياة خير فقد انظرت لو كان ينفع الانظار

عشت دهرا فلن يدوم علي الايام الا يرمرم وتعار

وانشدني الاصمعي قال انشدني رجل ولم يسمه

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة تدل علي مكنونه حين يقبل

بياض خراسان ولكنه فارس وجبهة رومي وشعر مفلفل

لقد الفت اعضاء عمرو عصابة تدل عليها اخر القوم اول

وقالت اخت ذي الرمة ترثيه

تعزيت عن اوفي بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني اوفي المصيبات بعده ولكن نكأ القرح بالقرح اوجع

وذو الرمة القايل اذا قلت كان فلم اجد مخرجا فقطع الله لساني

وانشد

لا ابقي حبك الضغاين بالرقي فعل الذليل ولو بقيت وحيدا

لكن اعد لها ضغاين مثلها حتي اداوي بالحقود حقودا

كالخمر خير دوايها منها بها تشفي السقيم وتبري المنجودا

فاخذ الحكمي هذا فقال

وكاس شربت علي لذة واخري تداويت منها بها

وقال ابن هرمة

ان ايادك عندي غير واحدة جلت عن الوصف والاحصاء والعدد

وليس منها يد الا وانت بها مستوجب الشكر مني اخر الابد

وقال الاخر

ساشكر ما اتقى ابي الله خالدا كشكري ولا يدري علي بن ثابت

حملت عليه مثقلا فاطاقه وحملني من شكره فوق طاقتي

ورأي رجل من النبط الحجاج بعد موته في منامه فقال يا حجاج الي ما صيرك ربك فقال وماذا عليك يا ابن الزانية فقال ما سلمنا من قولك ميتا ولا من فعلك حيا وقال الاشهب رجل من اهل

مطلب منامية

الكوفة يهجو نوح بن درّاج

إنّ القيامة فيما أحسب اقتربت ... إذ صار حاكمنا نوح بن درّاج

لو كان حيًّا له الحجّاج ما سلمت ... صحيحةً يده من نقش حجّاج

وكان الحجّاج يشم أيدي النبط علامة يعرفون بها

وقال رجل من طيّئ لرجل من فزارة وكان الرجل فتوعّده

فإن كان هذا يا فزار تجلّبا ... لتخشى فما رتاع للجلبات

ألآن لمّا أن علا الشيب مفرقي ... وصارت ثنوب العود مختلفات

فلو أنّ ساقي الزخ يحملكم فتى ... لأعيينا ما كنتم بقذات

ألستَ فزاريًّا تبيّن لومه ... إذا قام بين الأنف والسّبلات

ترى الخيل تستحيي إذا ما ركبتم ... عليها حياء البدّن الخفرات

وقال أبو عبيدة ما ينبغي أن يكون في الدنيا مثل النظام سألته

وهو صبيّ عن عيب الزجاج فقال سريع الكسر بطيء الجبر

ومدحوا النخلة عنده فقال صعبة المرتقى بعيدة المهوى خشنة المسّ

قليلة الظلّ

وذكر النظام الخليل بن أحمد فقال

توحّد به العجب فأهلكه وصوّر له الاستبداد صواب رأيه فتعاطى

ما لا يحسنه ورام ما لا يناله وفتنته دوائره التي لا يحتاج إليها غيره

وكان أبو إسحق إذا ذكر الوهم لم يشكّ في جنونه وفي اختلاط

عقله وهكذا كان الخليل وإن كان قد أحسن في شيء وكان

النظام كثيرًا ما ينشد

فلو كنت أرضى لا أبا لك بالذي ... به الخامل الحسّام في الخفض قانع

قصرت على أدنى الهموم وأصبحت ... عليّ وعندي للرجال صنائع

وقال المريسيّ لأبي الهذيل بحضرة المأمون بعد كلام جرى

كيف ترى هذه السهام قال لينة كالزبد حلوة كالشهد فكيف

ترى سهما منا قال ما احتسبت بها قال لأنها صادفت جمادًا

وأنشد أبو الهذيل

فإذا توهّم أن يراها ناظر ... ترك التوهّم وجهها مكلوما

فقال هذه تسأل بأبي من خاطر • وأنشدني ابو الهذيل بعد أن

انشد هذا البيت •

أتسأل لرد السوء في زمانه • ولا تسائل عن خبي شانه •

وقال ـــــــ آخر •

وكم من كريم ضعضع الدهر حاله • وكم من لئيم اصبح اليوم صاعدا •

وقد قال في الامثال في الناس واعظ • بتجربة اهدى النصيحة جاهدا •

اذا دولة للقرد جاءت فكن له • وذلك من حسن المداراة ساجدا •

بذاك تداريه ويوشك بعدها • تراه الى تبانه الرث عائدا •

وانشدني الاصمعي في معنى قول الفرزدق • به لا بظبي بالصريمة اعفرا •

لرجل من بني القين •

اقول لصالح لما دهته • بنات الدهر ويحك ما دهاكا •

شجاك العزل لا بأخي نوال • من الفتيان كربه ما شجاكا •

اتيتك زائرا فرجعت صفرا • كذاك تكون او به من اتاكا •

احب لك السلامة يا ابن امي • وان كنت امرا بخلت يداكا •

حفاظا للعشيرة لا بعرف • فان العرف من به سواكا •

وقال ـــــــ الفرزدق •

الا خبروني ايها الناس انني • سألت ومن سأل عن العلم يعلم •

سؤال امرئ لم يعقل العلم صدره • وما العالم الواعي الاحاديث كالعمي •

وقال ـــــــ ايضا •

الم تعلموا يا آل طوعة انما • تهيج جليلات الامور دقيقها •

ستأتي على سعد بما قد علمته • وخير احاديث الرجال صدوقها •

ومما اكتب لك من الاخبار العجيبة التي لا يجتري عليها الا كل وقاح

لاخبار بعض العلماء • وبعض من يؤلف الكتب نفير وها ويدارس اهل

العجب ويتحفظها •• زعموا ان الضبع تكون عاما ذكرا

وعاما انثى • وسمعت هذا من جماعة منهم ممن لا استجيز تسميته •

وقال ـــــــ الفضل بن اسحق انا رايت العفص • والبلوط في غصن واحد •

قال: ومن العجب ما يكون مثل الأكثر، وقد خبرني بذلك الغيره.
وهذا لا يشبه تحول الأنثى ذكرا والذكر أنثى، وقد ذكرت
العرب في أشعارها الضباع والذئاب والسمع والعسبار وجميع الوحوش
والحشرات والأحناش، وهم أخبر الخلق بشأن الضبع، فكيف تركت ذكر
ما هو أعجب وأطرف، وقد ذكرت العلماء الضباع في مواضع من الفتيا.
لم نر أحدا ذكر ذلك، وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا أن النمر
الأنثى تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه أفعى قد تطوقت به.
وإذا لم يأتنا في تحقيق هذه الأخبار شعر شائع أو خبر مستفيض
لم نلتفت إليه، وقد أقررنا بأن للسقنقور أيرين وكذلك الحرذون
والضب حين وجدناه ظاهرا على ألسنة الشعراء وحكاية الأطباء.
والخرطوم للفيل وهو أنفه، ويقوم مقام يده ومقام عنقه، والخرق
الذي فيه لا ينفذ، وإنما هو وعاء إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه
في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى، وإنما صار ولد البختي

خرطوم الفيل

من البختية جزورا لحمه لقصر عنقه ولعجزه عن تناول الماء والمرعى.
وللبعوضة خرطوم وهي تشبه بالفيل إلا أن خرطومه أجوف، فإذا طعن
به في جلد الإنسان والبهيمة فاستقى به الدم من جوفه قذف به إلى
جوفها فهو لها كالبلعوم والحلقوم، وللذباب خرطوم تخرجه إذا
أرادت الدم وتدخله إذا رويت، فأما من سمى خطم الخنزير والكلب
خرطوما فإنما ذلك على التشبيه، وكذلك يقولون لكل طويل قصير
اللحيين، وقد يقال للخطم خرطوم على قوله سنسمه على الخرطوم.
وأنشدنا ابن الأعرابي لفتى من بني عامر:

ولا أقوم على المولى فأشتمه ... ولا أمر على تلك الخراطيم

جعل سادة عشيرته في النادي والمجالس كالخراطيم والمقاديم
والهوادي، وعلى ذلك قالوا بنو فلان أنف بني فلان ورؤوسهم
وخراطيمهم، ومعنى العامري الذي ذهب إليه في شعره كأنه
أعظم المشيخة أن يمر بهم، وقد قال الشاعر

البعوض

الذباب

هم الأنف المقدم والسنام

والفيل والببر والطاووس والببغاء والدجاج السندي والكركدن مما خص الله به الهند وقد عدد ذلك مطيع بن اياس الليثي الشاعر حين خاطب جارية له كانت تسمى روقة

روق يا روق كيف فيك أقول • ساد يسنا دوني وارمابيل •
وبعيد من بينه حيث ما كان • وبين الحبيب قندابيل •
روق يا روق لو ترين محلي • ببلاد معمر وفيها محمول •
ببلاد بها تبيض الطواويس • وفيها يزاوج الزندبيل •
وبها الببغاء والصفرد العودله • في ذرا الأراك مقيل •
والخموع العرجاء والأيل الأفرن • والليث في الغياض الشبول •

وقال ابو الضلع السندي يفتخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند

لقد يعذلني صحبي • وما ذلك بالأمثل •
وفي مدحتي الهند • وسهم الهند في المقتل •

وفيه الساج والعاج • وفيه الفيل والدغفل •
وإن التوتيا فيها • كمثل الجبل الأطول •
وفيها الدارصيني • وفيها منبت الفلفل •

والمتشابهة عندهم من الحيوان الفيل والخنزير والبعوضة والجاموس

وقال رؤبة بن العجاج

ليث يدق الأسد الهموسا • والأقهبين الفيل والجاموسا •

ولما هجا ابو الطروق الضبي امرأته وكان اسمها شعفر بالقبح والشناعة

فقال

جاموسة وفيلة وخنزر • وكلهن في الجمال شعفر •

جعل الخنزير خنزرا فجمعها كما ترى للتشابه

وقال الآخر

كأن الذي يبد والناظر لثامها • جحافل عير أو مشافر فيل •

والفيل يوصف بالفقم ولذلك قال الأعرابي

قادني صحبي المعتم • ولم أكن أخدع فيما أعلم •

إذ صفق الباب العريض الأعظم • وأدني الفيل لنا وترجموا •

وقيل إن الفيل فيل مرجم • خبعثن قدم منه المجزم •

أمر دلعلى الجسم منه أضجم • يجر إن جاء ثقالا تحطم •

ما تحتهما من فوقها وتهشم • وحنك حين يمد أفقم •

ومشفر حين تمد يرطم • يرده في الجوف حين مطعم •

لو كان عندي سبب أو سلم • نجت نفسي جاهدا لا أظلم •

وقال آخر

من يركب الفيل فهذا الفيل • إن الذي يركبه محمول •

وأذن كأنها منديل

وقال عمارة بن عقيل يضرب المثل بقوة الفيل

إذا أنا أمير لم نقل لهم هيدا • وجالت بنا منه الأجاسل •

دعن محمودنا الأقصى وحمله • من المظالم ما لا يحمل الفيل •

وقال أبو دهبل يمدح أبا الفيل الأشعري •

إن أبا الفيل لا تحصى فضائله • قد عم بالعرف كل العرب والعجم •

ونظر ابن شهلة المديني إلى خرطوم الفيل وإلى غرموله فقال

ولم أر خرطومين في جسم واحد قبل عنده لا في مشرب ومبال •

وقد غلط لأن الفيل لا يشرب بخرطومه • ولكن به يوصل الماء إلى فيه •

فشبه غرموله بالخرطوم • وغرموله يشبه بالجعبة • والقنديل • والبرنج •

وقال المخبل في تعظيم شأن الفيل •

أتهزأ مني أم عمرة إن رأت • نهارا وليلا بليا بي فأسرعا •

فإن أك لاقيت الدهارير منهما • فقد أفنيا لقمان قبلي وتبعا •

ولا يلبث الدهر المفرق بينه • عن الفيل حتى يستبد برنبصرعا •

وقال مروان بن محمد • وهو أبو الشمقمق • وحدثني صديق لي

قال سألت أبا الشمقمق عن اسمه ونسبه فقال أنا مروان بن محمد مولى

مروان بن محمد •

يا يوم اني رايت الفيل بعدكم فبارك الله لي في روية الفيل

رايت بيتا له شي يحركه فكدت اصنع شيا في السراويل

وقالت دودة لامها

يا ام اني رايت الفيل من كثب لا بارك الله لي في روية الفيل

لما نظرت الى الفيل اذهلني عن الحمية وعن تلك البواطيل

لعله عند رويته غرمول الفيل

قال الاصمعي جبى قوم من اهل اليمامة جباية فارسل السلطان
اليهم جندا من بخارية ابن زياد فقام رجل من اهل البادية يذمر
اصحابه فقال يا معشر العرب ويا بني المحصنات قاتلوا عن احسابكم
ونسايكم والله لين ظهر هولا القوم عليكم لا يدعون بها لبنة
حمرا ولا نخلة خضرا الا وضعوها بالارض ولا اعرتكم من
نشاب في جعاب كانها ابور الفيلة ينزعون في قسي كانها العتل
تئط احداهن اطيط الزرنوق يمغط احدهم فيها حتى يتفرق شعر
ابطيه ثم يرسل نشابه كانها رشاء منقطع فاين احدكم وبين ان
تنفضخ عينه او ينصدع قلبه منزله قال فخلع قلوبهم فطاروا رعبا

قالوا الفيلة ضربان فيل وزندبيل وقد اختلفوا في اشعارهم
واخبارهم فبعضهم يقول هي كالبخت والعراب والجواميس والبقر
والبراذين والخيل والفار والجرذان والذر والنمل وبعضهم يقول
انما ذهبوا الى الذكر والانثى قال خالد القناص
في تلك المزاوجة والخمسة التي ذكر فيها الصيد والطب فقال حين صار
الى ذكر الفيل

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الافيال زندبيل

فذهب الى العظم وقال الذكواني

وفيلة كالطود زندبيل

فجعل الزندبيل هي الانثى وقال الاخر

من بين فيلات وزندبيل

فجعل الزندبيل هو الذكر وزعم ابو اليقظان سحيم

بن حفص أن النَّدْبيل هي الأنثى فلم يقفوا من ذا على شيء • فبعض
الناس يقسم الجن على قسمين • فيقول هم جن وحن ويجعل التي بالحاء
أضعفها • وأما الحاجز هناك
أبيت أهوي في شياطين ترن • مختلف نجواهم جن وحن
ففرق هذا كما ترى بين الجنسين • وسمع بعض الجهال قول الحسن
ذهب الناس وبقيت في النسناس • فجعل النسناس جنسا على حدة • وسمع آخرون
ثم أجمل من هولا قول الكميت • نسناسهم والنسانسا •
فزعموا أنهم ثلثة أجناس ناس ونسناس ونسانس • هذا سوى القول في الشق
وواق واق ودوال پاي وفي العداد وفي أولاد السعالي من الناس
وفي غير ذلك مما قد ذكرناه في موضعه من ذكر الجن والإنس •
وقد علم أهل العقل أن النسناس إنما وقع على السفلة والأوغاد كما سموا
الغوغاء اجرادا إذا ألقى البيض وسحف وخف وطاش •
قال وإذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين وكل من لقيه من

سائر الناس • ولم يقم له شيء حتى لا يكون أشواته همّ إلا الهرب
والاحتيال لأنفسهم • وتزعم الفرس أن فيلا من فيلة كسرى
اغتلم • فأقبل نحو الناس فلم يقم له شيء حتى دنا من مجلس كسرى
فانقشع عنه جنده • وأسلمته صنائعه • وقصد إلى كسرى • فلم يبق معه إلا
رجل واحد من فرسانه • كان أخصهم به حالا وأرفعهم مكانا • فلما
رأى قربه من الملك شد عليه بطبرزين كان في يده فضرب جبهته
به ضربة غاب لها جميع الحديد في جبهته فصد عنه وارتدع وأبى
كسرى أن يزول من مكانه • فلما أيقن بالسلامة قال لذلك الرجل
ما أنا بما وهب الله لي من الحياة على يدك بأشد سرورا مني بالذي رأيت
من هذا الجلد والوفاء والصبر في رجل من صنائعي وحين لم تخطئ
فأستيقن ولم تزل رأيي • فهل رأيت أحدا قط أشد منك • قال نعم •
قال فحدثني عنه • قال على أن تؤمنني • فأمنه • فحدث عن بهرام
جوبين بحديث شق على الملك وكرهه • إذ كان عدوه على

تلك الصفة ٭ قال وان اغتلم الفيل وصعب وصال وخبط ٭
خلاه الفيالون والرواض فتمادى وحشيا ٭ والفيلة من الاجناس
التي يكون فيها الاهلي والوحشي كالسنانير والحمير والظباء ٭ وما
اشبه ذلك ٭ وانشد ابن الكرماني الشاعر المولتاني قوله

قدت في الهند من عين فجاذب الفيل وحشيا ومغتلما ٭

وهذه القصيدة هي التي يقول فيها ٭

فلست صعوبة من بعير مغتر ما حي لقيت بها حلفا للذي حلما ٭

فربما كان بنيان المشيد سنته لو ما طوق الشمس القت نحوه الكلما ٭

ويقول الفرس اعطي كسرى ابرويز ثماني عشرة خصلة لم يعطها
ملك قط ولا يعطاها احدا ابدا من ذلك انه اجتمع له تسع مائة
وخمسون فيلا وهذا شي لم يجتمع عند ملك قط ٭ ومن ذلك انه
انزى الذكورة على الاناث ٭ وان فيلة منها وضعت عنده وهي لا تلاقح
بالعراق فكانت اول فيلة وضعت بالعراق ٭ والاخر فيلة ٭

خواص كسرى

قالوا ولقي رستم الاذري المسلمين يوم القادسية ومعه من الفيلة
عشرون ومائة فيل ٭ وكان من بقايا فيلة ابرويز ٭ قالوا ومن
خصاله ان الناس لم يروا احدا قط امد قامة ٭ ولا اتم الواحا ولا
ابرع جمالا منه ٭ فلما مات فرسه الشبديز وكان لا يحمله الا فيل
من فيلته ٭ كان يجمع وطاء ظهر الفيل وثبات قوايمه ٭ ولين مشيه ٭
وبعد خطوه ٭ وكان الطفها بدنا ٭ واعدلها جسما ٭
قال ولم يجتمع لاحد من ملوك الاسلام من عدد الفيلة ٭ ما
اجتمع عند امير المومنين المنصور ٭ وكانت عنده اربعون فيلا فيها
عشرون فحلا ٭ قالوا والفيل اشرف مراكب الملوك ٭
واكثرهم تصرفا في ذلك ٭ ولذلك سال وهرز الاسوار عن
صاحب الحبشة حين صافهم في الحرب ٭ فقيل لهم ها هو ذا على الفيل
قال لا ارميه وهو على مركب الملوك ٭ ثم سال عنه ٭ فقيل له قد
نزل عنه وركب الفرس ٭ قال لا ارميه وهو على مركب الحماة قالوا

فانه قد ركب الحمار فدعا بعصابة فرفع بها حاجبيه وكان قد اسن

حتى سقط حاجباه على عينيه • ثم رماه فقتله • كان

سهل بن هرون يتعجب من نظر الفيل الى الانسان والى كل شي يمر به

وهو الذي يقول

اذا ما رايت الفيل ينظر قاصدا ظننت بان الفيل يلزمه الفرض •

قال ابو عثمن وقد رايت انا في عين الفيل من صحة الفهم والتامل

اذا نظر ما شبهت نظره الى الانسان الا بنظر ملك عظيم الكبر راجح

الحلم • واذا اردت ان ترى من الفيل ما يضحك فتراه في اسخف

حالاته واجمله فالق له جوزة • فانه يريد ان ياخذها بطرف

خرطومه • فاذا دنا منها تنفس فاذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه •

ثم يدنو ثانية لياخذها فيتنفس اخرى فيبعد عنه • فلا يزال ذلك

دابه • قالوا ويفضل الفيل الفرس في الحرب • ان الفيل يحمي

الجماعة كلهم يقاتل ويرمي ويزج بالمزاريق وله من الهول

ما ليس للفرس • وهو احسن مطاوعة • ولا يعرف الجماح • ولا الطماح • ولا

حران • والخيول العتاق ربما قتلت الفرسان بالحران مرة • وبالاقدام

مرة • وبسوء الطاعة وشدة الجزع • وربما شب الفرس بفارسه حتى

يلقيه بين الحوافر والسيوف • للتهم نصيبه • والحر يتعجب به • وما يشبه ظهر

الفرس من ظهره • وظهر الفيل منظرة من المناظر • ومسلحة من المسالح •

وفي الفيلة عجب اخر وذلك ان قصر الاعمار مقرونة بالابل

والبراذين • وبكل خلق عظيم • وبكل شي يعايش الناس في دورهم

وقراهم ومنازلهم • فالناس اطول اعمارا منها كالجمل والفرس والبرذون

والبغل والحمار والثور والشاة والكلب والدجاج • وكل صغير

وكبير الا الفيل • فانه اطول عمرا • والفيل اعظم من جميع الحيوان جسما •

واكثرا كلا • وهو يعيش ماية سنة • وماتي سنة •

وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان انه قد ظهر فيل عاش اربع ماية

سنة • فالفيل في هذا الوجه يشارك الضباب • والحيات • والنسور • واذا

كان كذلك نهو فوق الورشان وغير العانة • وهو من المعمرين
وفوق المعمرين • وهو مع ذلك اعظم الحيوان بدنا • واطولها عمرا •
قال بعض من يستفهم ويحب التعلم • ما بال الاسد اذا راي
الفيل علم انه طعام له • واذا راي الببر والنمر لم يكونا عنده كذلك •
وكيف وهو اعظم • واضخم • واشنع • واهول فان كان الاسد
انما اجترا عليه لانه من لحم ودم • واللحم طعامه • والدم شرابه •
فالببر والنمر من لحم ودم • وهما اقل هولا واقل جسما •
قال القوم ومتى قدر الاسد في الفيل انه اذا قاتله غلبه •
واذا غلبه قتله • واذا قتله اكله • وقد نجد الببر فوق الاسد وهو
لا يعرض له • والاسد فوق الكلب • وهو يشتهي لحمه ويشتهي لحم الفهد
باكثر مما يشتهي لحم الضبع • والذيب • وليست علته المواثبة التي
ذهبتم اليها • فاما علم جميع الحيوان بمواضع ما يعيشها فمن
علم البعوضة ان من وراء جلد الجاموس دما • وان ذلك الدم
غذاء لها • وانها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ المتين الشديد
الصلب ان خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة • ولو ان رجلا
منا طعن جلده بشوكة قبل ان تصل الى موضع الدم • وهذا باب
يدرك بالحس والطبع وبالبنية والخلقة • والذي يخرق خرطوم البعوضة
جلد الجاموس هو الذي يخرق الصخرة لذنب الجرادة • وهو الذي يخرق
قمقم النحاس لابرة العقرب • قال بعض حكماء الهند
لو كانت الفيلة لا تتلاقح عندنا بالعراق • لانها هندية • لتغير الهواء
والارض فعقم ذلك ارحامها • واعقم اصلابها لكان ينبغي للطواويس
ان لا تتزاوج عندنا • ولا تبيض • ولا تفرخ • ولا تتسافد • ونحن قد نجد
البلابل • والدباسي • والوراشين • والفواخت • والقماري • والقبج •
والدراج • فلا تتسافد عندنا في البيوت • وهي من اطيار بساتيننا
وضياعنا • ولا تتلاقح اذا اصطدناها كرازرة • بل لا تصوت ولا
تغني • ولا تنوح • وتبقى عندنا وحشية كمدة ما عاشت • وان اخذناها

وإذا زاوجت وعششت وباضت وفرخت. فلعلكم أن تكونوا لو
أهديتم إلينا أولادها صغاراً فنشأت عندنا وذهبت عنها وحشية
الخلاء وحدث لها أنس الأهلي. فإن الوحشة هي التي أكمدتها ونقضت
قوتها وأفنت شهوتها. وقد تجد الشفنين الذكر تهلك أنثاه فلا يزاوج
غيرها أبداً في بلادها كان أو في غير بلادها. ونحن لو جئنا بالذئاب
والأسد والنمور والببور فأقامت عندنا الدهر الأطول لم تتلاقح.
ولقد أصاب أعرابي جرو ذئب فرباه ورجا أن يأنسه وأن تألفه فيكون
خيراً له من الكلب. فلما قوي شبا وثب على حمل له فأكله.

فقال الأعرابي

أكلت شويهتي وربيت فينا فما أدراك أن أباك ذيب

وقد تسافد عندنا حمر الوحش وقد تلاقحت عند بعض الملوك.
وكان جعفر بن سليمن أحضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد
ألبان الظباء وزبدها وسلاءها ولبأها فاستطاب الرشيد جميع

ذلك. وغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق عن الظباء ومعها خشفانها
وعليها شملها حتى مرت في عرصة الدار تجاه عين الرشيد. فلما رآها
على تلك الحال وهي مقرطة مخضبة استخفه الفرح والتعجب حتى قال
ما هذه الألبان والسمنان واللبا والرائب والزبد الذي بين أيدينا.
قال من حلب هذه الظباء ألفت وهي خشفان فتلاحقت
وتلاقحت ولو أطلقوا الذئاب والأسد في مروج العراق
وأما موالحها جانبها لتسافدت وتلاقحت. فلعلهم لو تلقطوا من مواضعها
أولاد الفيلة واقتنوها صغاراً أن تأنس حتى تتسافد وتتلاقح.
وقد زعمتم أن كسرى أبرواز قد استنتج دغفلاً واحداً.
قال الهندي تخبرنا هذه الحجة وهي بيننا وبينكم أوليس قد
جهد في ذلك جميع الملوك من جميع الأمم في قديم الدهر فلم يستنتجوا
إلا واحداً. وعلى أن هذا الحديث من أحاديث الفرس وهم أصحاب
تنفج وتزيد ولا سيما في كل شيء مما يدخل في باب العصبية. ويزيد في

اقدار الاكاسرة واذا كانوا كذلك فهم اطباء والمتهم لا شهادة له
ولكن هل رايتم هنديا قط افتخر بذلك او هل قرأت بقايا سائر الامم
للفرس بهذا الامر . قال بعض من خالف على الهند
الفيل لا ينتفع بلحمه ولا بلبنه ولا بسمنه ولا بزبده ولا بشعره
ولا بوبره ولا بصوفه عظيم المؤونة في النفقة شديد التشرّه
على الرواض وان اغتلم لم يف جميع منافعه في جميع دهره بمضرة
ساعة واحدة وهو مرتفع في الثمن وان اخطؤوا في تدبير مطعمه
ومشربه وتقليبه وتنقله هلك سريعا ولا يتصرف تصرف الدواب
ولا يركب في الحوائج والاسواق وفي الجنائز والزيارات ولو ان
انسانا عاد مريضا واتبع جنازة على فيل لصار شهرة ونزل المثابة .
وسئل ابن سيرين عن رجل راى فيما يرى النائم كانه على فيل قال
امر جسيم لا منفعة له . وقالوا قال رجل للحجاج بن يوسف
رايت رجلا في المنام من عمالك قدم فيلا فضرب عنقه قال ان

صدق رؤياك هلك داهر بن صصة . وسئل الشعبي عن
اكل لحم الفيل فقال ليس هو من بهيمة الانعام . وخرطومه
الذي هو سلاحه والذي به يبطش وبه يعيش من مقاتله .
وقال زهرة بن حوية يوم القادسية اما لهذه الدابة مقتل .
قالوا بلى خرطومه . فشد عليهم حتى خالطهم ودنا من الفيل فحمل كل واحد
منهما على صاحبه فضرب خرطومه فبرك وادبر القوم .
قالوا والفيل اهتم قصير العنق مقلوب اللسان مشوه الخلق فاحش
القبح . ولم يفلح ذو اربع قط قصير العنق في طلب ولا هرب .
ولولا ان مسلوخ الثور يجول في اهابه ولولا سعة غبغبه لما خطا
مع قصر عنقه . ولذلك قال الاعرابي ومن جعل الاوقص كالاعنق
والمطبق كالطابع . وقال الشاعر في غبب الثور .
وهو اسحق بن حسان
ولغبب فضفاض جلد اللبان يدافع غبغبه بالوظيف .

وليس يؤتى البعير في حضره مع طول عنقه الا من ضيق جلده
والفيل ضئيل الصوت وذلك من اشد عيوبه والفيل اذا بلغ في الغلمه
المبالغ اشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى ينضم ابطلاه ويتورم
رايته وقد وصف الراجز الجمل الهائج فقال

سام كان رايته فيه ورم ... اذ ضم اطليه هباج وقطم

والاض يعد البدن ذا لحم زيم

ولو لم يكن في الفيلة من العجب الا ان عدة ايام حملها لعمر بعض
البهائم لكان ذلك عجبا ولقد ترك اهل المدينة غراس العجوة لما كانت
لا تطعم الا بعد اربعين سنة قالوا وليس شي يحمل من عدد
الارطال ما يحمل الفيل لان الذي يفضل ما بين حمل الفيل وحمل البختي
اكثر من قدر ما يفضل بين جسم الفيل على جسم البختي
قالوا وقد قال الاعرابي الذي ادخل على كسرى ليتعجب من جفائه وجهله
حين قال له اي شي ابعد صوتا قال الجمل قال فاي شي اطيب لحما قال

الجمل قال فاي شي انهض بالحمل قال الجمل قال كسرى كيف يكون الجمل ابعد
صوتا ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلا قال فقال
الاعرابي ضع الكركي في مكان الجمل والجمل في مكان الكركي
حتى تعرف ايهما ابعد صوتا قال كسرى وكيف يكون لحم الجمل اطيب من
البط والدجاج والفراخ والدراج والنواهض والجداء قال الاعرابي
يطبخ ماء الدجاج بماء وملح ويطبخ لحم الجمل بماء وملح حتى يعرف فضل ما بين
اللحم ظ
اللحمين قال كسرى كيف تزعم ان الجمل احمل للثقل والفيل يحمل كذا
وكذا رطلا قال الاعرابي ليبرك الفيل ويبرك الجمل وليحمل على الفيل
حمل الجمل فان نهض به فهو احمل للاثقال قال القوم ليس في
استطاعة الجمل النهوض بالاحمال ما يوجب لها فضيلة على حمل ما هو اثقل
ولعمري ان للجمل بلين ارساغه وطول عنقه لفضيلة في النهوض بعد
البروك فاما نفس الثقل فالذي بينهما اكثر من ان يقع بينهما الخيار
قالوا وبفارس ثيران تحمل حمل الجمل باركة ثم تنهض به

باب مدح الفيل

في ضبط الفيل

قصة اصحاب الفيل

فهذا باب الذم فاما باب الحمد فقد حدثنا عن شريك عن جابر الجعفي

قال رايت الشعبي خارجا فقلت الى اين قال انظر الى الفيل

قال وسالت ابا عبيدة فقلت ما لون الفيل قال جون ومن اعاجيب

الفيل ان سوطه الذي به يحث ويصرف محجن حديد طرفه في جبهته

وطرفه الاخر في يد راكبه فاذا اراد منه شيا غمز تلك الحديدة في

لحمه على قدر ارادته لوجوه التصرف وقد ذكر ذلك

ابو قيس بن الاسلت في الجاهلية وهذا الشعر حجة في صرف الله الفيل

والطير الابابيل وجند الكسوم عن البيت الحرام وسنذكر من ذلك

طرفا ان شا الله فقال ابو قيس

ومن صنعه يوم فيل الحبوش اذ كل ما بعثوه رزم

محاجنهم تحت اقرابه وقد كلموا انفه فانخرم

وقد جعلوا سوطه مغولا اذا يمموه قفاه كلم

فارسل من فوقهم حاصبا يلفهم مثل لف القزم

وقال ايضا صيفي بن عامر وهو ابو قيس بن الاسلت وهو رجل

يماني من اهل يثرب وليس بمكي ولا تهامي ولا قرشي ولا حليف قرشي

وهو جاهلي وهو معروف يعرفه الرواة

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الاخاشب

فعندكم منه بلاء مصدق غداة ابي يكسوم هادي الكتائب

فلما اجازوا بطن نعمان ردهم جنود الاله بين ساف وحاصب

فولوا سراعا نادمين ولم يوب الى اهله ملحبش غير عصائب

ويدل على صحة هذا الخبر قول طفيل الغنوي وهو جاهلي وهذه

الاشعار صحيحة معروفة لا يرتاب بها احد من الرواة وانما قال ذلك

طفيل لان غنيا كانت تنزل تهامة فاخرجتها كنانة فمن اخرجت

فهو قوله

ترعى مذانب وسمي اطاع له بالجزع حيث عصى اصحابه الفيل

وقال ابو الصلت واسمه ربيعة وهو ابو امية بن ابي الصلت

وهو ثقفي طائفي وهو جاهلي وثقيف يومئذ اضداد بالبلد وبالمال
وبالحدائق والجنان ولهم اللات والعبعب وبيت له سدنة يضاهون
بذلك قريشا فقال مع اجتماع هذه الاسباب التي توجب الحسد والمنافسة

ان آيات ربنا بينات ما يماري بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور
حوله من شباب كندة فتيان ملاويث في الحروب صقور
واضعا حلقة الجران كما قطر صخر من كبكب محدور

وقال بعضهم لابرهة الاشرم

اين المفر والاله الطالب ‖ والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال عبد المطلب يوم الفيل على حراء

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم جهدا وما جمعوا محالك
ان كنت تاركهم وقبلتنا فامر ما بدا لك

وقال نفيل بن حبيب الخثعمي وهو جاهلي شهد الفيل وصنع الله في
ذلك اليوم

الا ردي جمالك يا ردينا نعمناكم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
اكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا

وقال المغيرة بن عبد الله المخزومي

انت حبست الفيل بالمغمس ‖ حبسته كأنه مكردس
بمحبس تزهق فيه الانفس

وقال الله جل وتعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم
كعصف مأكول ‖ وانزل هذه السورة وقريش يومئذ مجلبون في الرد
على النبي صلى الله عليه وما شيء احب اليهم من ان يروا له سقطة او عثرة

او كذبه او بعض ما يتعلق به مثلهم فلولا انه كان اذكرهم امرا • لا
يدافعونه ولا يستطيع العدو انكاره للنبي يرى من اطباق الجميع عليه
لوجد واكبر المقال وهذا باب يكثر الكلام فيه وقد اتينا عليه في
كتاب الحجة • وقال الم تر كيف فعل ربك بعاد • مثل قوله الم تر
الى ربك كيف مد الظل • وقال كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد
رايتموه وانتم تنظرون • وهذا كله ليس من رؤية العين •
وباب اخر من هذا وهو قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون •
ويقول الرجل رايت الرجل قال كذا وكذا • وسمعت الله يقول كذا وكذا •
وفلان يرى السيف • وفلان يرى راى ابي حنيفة • وقد رايت عقله حسنا •
وقال ابن مقبل •

مثل الدار من جنبي حبر فواهب • بحيث يرى هضب القليب المضيح •

اي اقابل الجبل الجبل فهو يراه اذا قام منه مقام الناظر الذي ينظر اليه • وتقول
العرب دار فلان تنظر الى دار فلان • ودور فلان تتناظر • وقال

النبي صلى الله عليه انا بريء من كل مسلم مع مشرك • قيل ولم يا رسول الله
قال لا تراءى ناراهما • ويقولون اذا استقبلت تلقاء وجهك فنظر
اليك الجبل فخذ عن يمينك • وقال الكميت

وفي ضبن حقف يرى حقفه • خطاف وترجه والاجدل •

وخرجت يوم عيد فلما صرت بعيسى اباذ اذا انا بتل محلل مقطوع ومقطعات •
واذا رجال جلوس عليهم اسلحتهم • فسالت بعض من شهد العيد فقلت له ما بال
هذه المسلحة في هذا المكان • وقد احاط الناس بذلك التل • فقال لي
هذا الفيل فقصدت نحوه • ومالي همة الا النظر الى اذنيه • فرجعت عنه بعد
طول تامل • وانا اتوهم عامة اعضائه بل جميع اعضائه الا اذنيه • وما
كانت لي في ذلك علة • الا شغل قلبي بكل شيء هجمت عليه منه • وكله
كان شاغلا لي عن اذنه التي لها كان قصدي • فذاكرت ذلك سهل
بن هرون فذكر انه ابتلي بمثلها • وانشدني في ذلك
بيتين من شعره • وهما قوله •

اتيت الفيل محتسبا بقصدي لابصر اذنه وبطول فكري
فلم ار اذنه ورايت خطفا يقرب بين نسياني وذكري

قال وقال رجل مرة اللهم اخز الفيل فاقبحه فقال له بكر بن عبد الله المزني لا تشتم شيا جعله الله آية في الجاهلية وارهاصا للنبوة

ارهاصا للنبوة

وقال سعدان الاعمى النحوي قلت للاصمعي اي شي رايته اعجب قال الفيل

وقيل لابن الجهم اي امور الدنيا اعجب قال الروح

وقيل لابي عقيل بن درست اي امور الدنيا اعجب قال النوم واليقظة

وقيل لابي شمر اي امور الدنيا اعجب قال النسيان والذكر

وقيل لسلم الخلال اي امور الدنيا اعجب قال النار

وقيل لبطليموس اي امور الدنيا اعجب قال بدن الفلك وقال مرة الضياء

وقيل لابي علي عمرو بن فايد الاسواري اي شي ما رايت اعجب قال الارزاق والآجال

وكان ابرهيم بن سيارة شديد التعجب من الفيل

وكان معبد بن عمر يقول ان السرطان والكلمة اكثر عجايب من الفيل

ولهذا كله تفسير

ابو عقيل السواق عن مقاتل بن سليمن قال قال موسى للخضر اي الدواب ابغض اليك وايها احب اليك قال احب الفرس والحمار والبعير لانها من مراكب الانبيا وابغض الفيل والجاموس والثور

فاما البعير فمركب هود وصالح وشعيب والنبي صلى الله عليه واما الفرس فمركب اولي العزم من الرسل وكل من امره الله بحمل السلاح وقتال الكفار

واما الحمار فمركب عيسى بن مريم وعزير وبلعم وكيف لا احب شيا احياه الله بعد موته قبل الحشر

قال ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي الى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال قعدة نبي وبذلة جبار

وابغض الفيل لانه ابو الخنزير وابغض الجاموس لانه يشبه الفيل وابغض الثور لانه يشبه الجاموس

وانشدني في هذا المعنى جعفر ابن اخت واصل في منزل الفضل بن عاصم الباخرزي

ما ابغض الخضر فيلا مذ كان ولا احب عيرا وذا لكم غاية الكذب

وكيف يبغض شانيه معشر وكان في الفلك فرّاجا من الكرب
والفيل اقبل شيء لو تلقنه حاجات نفسك من جد ومن لعب
ولو تزوج منا واحد فرأى زي الملوك لقد اوفى على الركب
يغضي ويرنو بعظما البهجة وليس يعدله النشوان في الطرب
وليس يجتنب الا كل ذي فخر خر ومنبته من خالص الذهب
مثل الزنوج فان الله فضلهم بالجود والبطش والتطويل في الخطب

٢

قال انشدنيها يونس لابن رباح الشارزنجي فمدح الفيل كما ترى
بالطرب والحكاية وانه قد ادب وعلم السجود للملوك وزعموا
ان اول شيء يؤدبونه به السجود للملك قالوا اخرج كسرى ابرواز
ذات يوم لبعض الاعياد وقد صفوا له الف فيل وقد احدقت به وبها
ثلثون الف فارس فلما ابصرت به الفيلة سجدت له فما رفعت رووسها حتى
جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون وقد شهد ذلك المشهد جميع اصناف
الدواب الخيل فما دونها ليس فيها شيء يفصل بين الملوك والرعية ولا بين

وقصة سجدة الفيل

ولا بين فضل الفرس ونقص ابن آوى فلما رأى ذلك الحجري قال ليت ان الفيل
كان فارسيا ولم يكن هنديا انظروا اليها والى سائر الدواب
وفضلوها بقدر ما ترون من فهمها وادبها واما ذكره
الزنج بطول الخطب فكذلك هم في بلادهم وعند نوابيهم ولكن
معانيهم لا ترتفع عن اقدار الدواب الا بما لا يذكر وانشدوا في
تعظيم شان الفيل وصحة نظره وجودة تحديقه وتامله وسكون
طرفه والشعر لبعض المتكلمين

اذا ما رأيت الفيل ينظر قاصدا ظننت بان الفيل يلزمه الفرض

وقد قيل ان الشعر لسهل بن هرون وقال عبد الاعلى
القاص يقال في المثل ان النسر قال للضب حين تاى ابينا انا في الارض
اني قد رأيت عجبا قال وما هو قال رأيت خلقا يمشي على رجليه ويتناول
الطعام بيديه فيهوي به الى فيه قال ان كان ما تقول حقا فانه سيستخرجني
من قعر الجحر وينزلك من وكرك من راس الجبل

حكاية

والفيل اعجب منه لان بعد انفه وايدي البهايم والسباع على حال عاملة شيئا
والقرد ياكل بيده ويشق الجوز ويتفلى ويفلي انثاه وليس شي يكرع
بانفه ويوصل الطعام الى فيه بانفه غير الفيل • والدب الانثى
تقيم اولادها تحت شجرة الجوز ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفيها ثم
تضرب اليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به الى اولادها فلا تزال
كذلك حتى اذا شبعن نزلت • وتقطع من الشجرة الغصن
العبل الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفاس الا بالجهد الشديد ثم تشد به على
الفارس فتضربه في موضع مقبض العصا فلا تصيب شيئا الا هتكته •
قال صاحب المنطق ليس شي من ذوات الاربع الا وتصرف
يديه في انجاف اقل من تصرف يدي الفيل • قال ابو عثمن يوصف جلد
الفيل وجلد الجاموس بالقوة • وقال جميل •

اذا ما علت نشزا تمد زمامها • كما امتد نهي الاصلف المترقرق •
وما يبتغي مني العداة تقاذفوا • ومن جلد جاموس بسبتين مطرق •

وابيض من ماء الحديد اصطفيته • له بعد اخلاص الضريبة رونق
وقال كعب بن زهير في اعتذاره الى النبي صلى الله عليه وسلم •

اني اقوم مقاما لو يقوم به • ارى واسمع ما لو يسمع الفيل •
لظل يرعد الا ان يكون له • من الرسول باذن الله تنويل •

وذكر امية بن ابي الصلت سفينة نوح فقال

تسرح الطير والبرية فيها • مع قوي السباع والافيال •
حين فيها من كل ما عاش زوج • بين ظهري غوارب كالجبال • ل

وقال امية •

خلق النحل معصرات تراها • تعصف اليابسات والمخضورا •
والتماسيح والثياتل والايل شتى والريم واليعفورا •
وصوارا مع النواشط عينا • ونعاما خواضبا وحميرا •
واسودا عواديا وفيولا • وسباعا والنمر والخنزيرا •

تزعم الهند ان جبهة الفيل تعرق في بعض الزمان عرقا غليظا غير سايل

يكون اطيب من رائحة المسك وهذا شي يعتريه في كل عام وموضع
ذلك الينبوع في جبهته • والناس يجدون ريح المسك في
بيوتهم في بعض الاحايين وهي ريح فارة يقال لها فارة المسك والذي
يكون في ناحية خراسان الذي يقال له فار المسك ليس بالفارة وهو بالخشف
حين تضعه الظبية اشبه • وتقول العرب في فارة الابل
صادرة ان ريح ذلك العرق اطيب من المسك الاذفر في ذلك الزمان
وفي ذلك الوقت من الليل والنهار • وقال الراعي

لها فارة ذفرا كل عشية • كما فتق الكافور بالمسك فاتقه •

قال الاصمعي قلت لابي مهدية او قيل لابي مهدية • كيف تقول
لا طيب الا المسك • قال فاين انت عن البان • قال فقيل له فقل لا طيب الا المسك
والبان • قال فاين انت عن ادهان بحجر • قالوا له فقل لا طيب الا المسك والبان
وادهان بحجر • قال فاين انتم عن فارة الابل صادرة •
وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب الى السواد يجدون من بدنه

اذا عدا الى جحره رائحة تشبه رائحة المسك • وبعض الناس يزعم ان هذا
الجنس هو الذي يخباء الدراهم والدنانير والحلي كما يصنع
العقعق والغراب • وهذا الجرذ غير فار المسك الذي يكون بخراسان
وذلك بالخشف الصغير اشبه • وانما ياخذون سرته وهي ملاى من دم
عبيط • قالوا ومما جعل الله شان الفيل من اعظم الايات
واكبر البرهانات للبيت الحرام • وقبلة الاسلام • وتاسيسا لنبوة النبي
صلى الله عليه • وتعظيما لشانه • لما اجرى من ذلك على يدي جده عبد المطلب
حين غزت الحبشة لهدم البيت • واذلال العرب • فلم يذكر الله منهم
ملكا • ولا سوقة • باسم ولا نسب • ولا لقب • وذكر الفيل باسمه المعروف
واضاف السورة التي ذكر فيها الفيل الى الفيل • وجعل فيه من الاية
انهم كانوا اذا قصدوا به نحو البيت يعصي ويبرك • واذا خلوه وسومه
صد عنه وصدف • وفي اضعاف ذلك التقم اذنه نفيل بن حبيب •
وقال ابن محمود • وكان ذلك اسمه • وقد طعن في ذلك

ناسٌ فقالوا قد يستقيم ان ينصرف عنه ويجزن دونه كل ذلك
بتعريف الله له. كيف يجوز ان يفهم كلام العرب. ويعرف معنى
قول نفيل. كان قلتم قد يفهم الفيل عن الفيال جميع الادب والتقويم.
وجميع ما يريد منه عند الحط والرحيل. والمقام والمسير. قلنا قد
يفهم بالهندية. كما يعرف الكلب اسمه. ويعرف قولهم اخسأ. وقد
يعرف السنور اسمه. ويعرف الدعاء. والزجر. وكذلك الطفل
والمجنون. وكذلك الحمار. والفرس اذا كن قد عودن تلك الاشارة
وسماع تلك الالفاظ. فاما الفيل وهو هندي جلبه الى تلك
البلدة حبشي. فخرج من عجمة الى عجمة. كيف يفهم مع ذلك
لسان العرب. وسر ان نفيل بن حبيب له بالعربية. قلنا قد يستقيم
ان يكون قال له كلاما بالهندية. كان قد تعود سماعه
من الفيالين. فيكون ترجمته بالعربية هذا الكلام الذي حكوه.
وقد يقدر الذي انطق الذئب لاهبان بن اوس. وجعل عودا المنبر

ثابته.

يحن الى النبي صلى الله عليه. ان يصور لوهم الفيل. وذكايه وحكايته وموا
ان يعرف ذلك. واكثر منه بطول مقامه في ارض الحبشة. وباليمن. وليس
بعيد ان يكون بالحبشة جماعة كثيرة من العرب. من وافد وبايع
وتاجر. وغير ذلك من الاصناف. فيسمع ذلك الفيل منهم فيعرفه. وليس هذا
المقدار بمستنكر من الفيل مع الذي قد اجمعوا عليه من فهم الفيل.
وكان منكه المتطبب الهندي صحيح الاسلام. وكان اسلامه بعد
المناظرة والاستقصاء والتثبت. قالوا فسمع مرة من رجل وهو يقرأ
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت. وسمع بعض الجهال يقول فكيف
لو راى الفيل. فعذله قوم فقال منكه لا تعذلوه فانه بلا شك
ان خلق الفيل اعجب. فقيل له فكيف لم يضرب الله به المثل دون
البعير. قال ابو اسحق ابرهيم بن سيار. فقلت له ليس
الفيل باعجب من البعير. واجعله اعجب من البعير. وهو انما خاطب العرب
وهم الحجة على جميع اهل اللغات. ثم بصيرتك المخاطبة لجميع الامم.

بعد الترجمة على السنه مولاء العرب الذين بهم بدأت المخاطبة كيف
تجوز ان يعجب جملعات الامم من شي لم يروه قط ولا كان على ظهرها
يوم نزلت هذه السورة رجل واحد كان قد شهد الفيل والحبشة
وعلى ان الفيل وافى مكة وما بها احد الا عبد المطلب في نفر من
هيبة الناس ولا كانوا حيث يتاملون الفيل وقد قال ناس
كان الناس رجلين رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش
الذين يجترون الى انفسهم بذلك التعظيم كما كانت السدنه تكذب
للاوثان والاصنام والانصاب لتجتر بذلك المنافع ورجل لم يكن
عنده علم بان هذا الخبر باطل فلم نتقدم على انكار ذلك الخبر
وجميع قريش تشنه قبل لهم ان مكة لم تزل دار خزاعة وبقايا
جرهم وبقايا الامم البايدة وكانت كنانة منها النساة وكانت
مزينة اذ من زمط صوفه والربيط منها اصحاب المزدلفة واليهم
كانت السدانه وكانت عدوان وابو سيارة وعميلة بن اعزل

تدفع بالناس وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان حتى
انتزعوا البيت منهم وقد كان بين ثقيف وقريش لقرب
الدار والمصاهرة والتشابه في الثروة والمشاكلة في المجاورة تحاسد
وتنافر وقد كان هنالك فيهم الموالي والحلفاء والقطان النازلة
ومن يحج في كل عام وكان البيت مزورا على وجه الدهر
يأتيه رجالا وركبانا وعلى كل ضامر ومن كل فج عميق وبشق
الانفس وكما قال الله فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وكانوا
بقرب سوق عكاظ وذي المجاز وهما سوقان معروفان ما زالتا
قايمتين حتى جاء الاسلام فلا يجوز ان يكون السالب والمسلوب
والمفتخر به والمفتخر عليه والحاسد والمحسود والمتدين به
والمنكر له مع اختلاف الطبايع وكثرة العلل يجمعون اختلاف
الطبايع كلهم على قبول هذه الاية وتصديق هذه السورة وكلهم
مطبق على عداوة النبي صلى الله عليه والكفر به والمحلون من

بُدّ

من العرب

العرب ممن كان لا يرى للحرم وللشهر الحرام حرمة طيّ كلها وخثعم
كلها وكثير من احياء قضاعة وشطر الحرث بن كعب وهؤلاء كلهم
لعداء في الدين والنسب هذا مع ما كان في العرب من النصارى
الذين يخالفون دين مشركي العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان
وعبد القيس وقضاعة وغسان والسليح والعباد وتنوخ وعاملة ولخم
وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء واعداء يغاورون
ويسبون ويسبى منهم وفيهم النؤور والاوتار والطوائل وهي
العرب والسنتها الحداد واشعارها التي انما هي ميسم وهممها البعيدة
وطلبها بالطوائل وذكرها لكل دقيق وجليل في الاشعار والارجاز
والاسجاع والمزدوج والمنثور فهل سمعنا لاحد من جميع هؤلاء
الذين ذكرنا انكار شان الفيل او عرض فيه بحرف واحد
وذرين العروضي وهو ابو نهيك لم ار قط اطيب منه قال في شعر
له يهجو بعض ولد عقبة بن جعفر وكان في احتجاجه عليهم وتقريعه

لهم ان قال

تهتم علينا بان الذيب كلمكم فقد لعمري ابوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث المصور اذا تركتم الناس ماكولا ومشروبا
هذا السنيدي لا اصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيدا وتصويبا

ولو كان ولد اهبان بن اوس ادعوا ان اباهم كلم الذيب
وانه ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وانه صدقه والفيل ليس
يكلم السندي هو المكلم له والفيل هو المفهم عنه فذهب
ذرين العروضي من الغلط في كل مذهب والناس قد يكلمون
الطير والبهائم والكلاب والسنانير والمراكب وجميع ما بين ايديهم
من اصناف الحيوان التي قد خولوها وسخرت لهم وربما رايت القراد
يكلم القرد بكل ضرب من الكلام ويطيعه القرد في جميع
ذلك وكذلك ربما رايته يلقن الببغاء ضروبا من الكلام
والببغاء يحكيه وان في غراب البين لعجبا وكذلك كلامهم

للذئب والكلب والشاة المكية وهذه الاصناف تلقن وتحكي وقد روى الناس
عن النبي صلى الله عليه في كلام الابل والسباع ضروبا ولم يذهبوا الى انها
نطقت بحروف مقطعة ولكن النبي صلى الله عليه اما ان يكون الله اوحى
اليه بحاجاتها واما ان تكون فراسته وحسه وتثبته في الامور مع ما
يحضره الله من التوفيق بين له معانيها وحاجاتها اذ استدل بظاهر على باطن
وبهيئته وحركته على موضع الحاجة واما ان يكون الله الهمه ذلك
الهاما. فاما جهة سليمن بن داود في المعرفة بمنطق الطير ومنطق
كل شي فلا ينبغي ان يكون ذلك الا على ان يقوم منها في الفهم عنها
مقام بعضها من بعض اذ كان الله قد خصه بهذا الاسم وابانه بهذه الدلالة.
ولعلام الرسل لا يكثر عددها ولا تعظم اقدارها على اقدار فضايل الانبيا
لان اكثر الانبيا فوق سليمن وادنى ذلك ان داود فوقه لان الحكم
في الوارث والموروث والخليفة والذي استخلفه ان يكون الموروث اعلى
والمستخلف ارفع كذلك ظاهر هذا الحكم حتى يخص ذلك برهان

حادث. وانما تكثر العلامات وتعظم على قدر طبايع اهل
الزمان وعلى قدر الاسباب التي تتفق وتتهيا لقوم دون قوم وهم
ان يكونوا جبابرة عتاة او اغبياء منقوصين او علماء معاندين
او فلاسفة مجادلين او قوما قد شملتهم من العادات السيئة وتراكم على
قلوبهم من الالف للامور الردية مع طول لبث ذلك في قلوبهم او تمكن
نحلتهم وملتهم ودعوتهم تحتمل من الاشغاب والاحتيالات والتمويه
والتغليط اكثر مما يحتمل غيرها من ذلك فان من الكفر ما يكون
عند المسالة والجواب اسرع انتشارا واظهر انتقاضا ومنه ما يكون امتن
شيا وان كان مصير الجميع الى الفساد والى الانتقاض فمنه شي يحتاج من
المعالجة الى اكثر واطول وانما تفاضل العلماء عند هذه الحال وقد
يكون ان تتقدم في قلوب الناس عداوات واضغان سببها التحاسد
الذي يقع بين الجيران والمتفقين في الصناعة وربما كانت العداوة
من جهة العصبية فان عامة من ارتاب بالاسلام انما كان اول ذلك راي

علة العداوة

التعويه والتمادي فيه وطول الجدال المؤدي الى القتال فاذا ابغض شيئا
ابغض اهله واذا ابغض بال اللغة ابغض بال الجزيرة واذا ابغض بال الجزيرة
احب من ابغض اهل بال الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من
الاسلام اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف والقدوة • وتزعم
الهند ان شدة غلمة الفيل وطول ايامه فيها وهجرانه الطعام والشراب وبقية تلك
الطبيعة وعمل ذلك العرق الساري هو الذي يمنع الفيل ان يتم في مثل جسمه من
امتن اسباب الهزال واذا تقادم ذلك في بدن وعب فيه عمل في العظم والعصب بعد
الشحم واللحم واذا كان رفع الصوت كالصياح وكثرة الكلام والغضب والحدة
انما صار يورث الهزال لان البدن يسخن عن ذلك واذا اشتعلت فيه الحرارة
احرقت واكلت وشربت ولذلك صار الخصي من الدبول والانعام اسمن • وزعموا
انه ليس فيما يعايش الناس من اصناف الحيوان شيء اقصر عمرا من العصفور • ولا
اطول عمرا من البغل وللامور اسباب فليس يقع الظن الا على قلة سفاد
البغل وكثرة سفاد العصفور • قالوا ونجد العمر الطويل امرا خاصا في

حكمة كون الخصي سمين

الرهبان فنظن ايضا ان تركها الجماع من اسباب ذلك • قالوا واذا اغتلم
الذكر من الحيوان فهو اخبث ما يكون لحما واذا اكثر سفاده تضاعف فيه ذلك
الشر وصار لحمه ايبس ودمه اقل • قال الشاعر

احب ان اصطاد ضبا سحبلا • او حرباء يرعى ربيعا ارملا •

فجعل ارمل لا زوجة له ليكون اسمن له لان كثرة السفاد مما يورثه الهزال •
ولا تكثر سفاده الا من شدة غلمته • وهجا اعرابي صاحبه حين اكل لحم تيس
غث فقال •

اكلته من غرث ومن قرم • كالورل البافد يعني بالنسم •

لان لحم الورل لا يشبه لحم الضب وهم لا يرغبون في اكله لانه عمل مسيخ
ولانهم كثيرا ما يجدون في جوفه الحيات والافاعي وله ذنب سمين وذلك
عام في الاذناب وان رايتها في العين كانها عصي فاذا كان لحمها
كذلك ثم كان في زمن هيجه وسفاده كان شرا له •
والورل في السفاد ما يجوز به حال الجمل والخنزير قال والنسم هو النسيم

في هذا المكان وقالت ام فروة

نفى نسيم الريح التي عن متونه * فما ان به عيب تراه لشارب

وانا العلم اني لو فسرت لك معاني هذه الاشعار وغيرها كان اتم للكتاب

اذا طال * وقال الشاعر يهجو الذي قراه لحم كلب

فجاء بجرشاوي شعير عليهما * كراديس من اوصال اعقد سافد

فلم يرض ان جعله كلبا حتى جعله سافدا * فاما ابن الاعرابي فزعم انه

انما عنى تشاؤ وقد تبطل وعلى ان المعنى فيهما سواء * قالوا وانما صار

الخصي من كل جنس اسمن لانه لا يسفد ولا يهيج * قالوا والسقنقور

انما ينفع آكله اذا اصطادوه في ايام هيجه وسفاده لان العاجز عن النسا

يتعالج باكل لحمه فصار لحم الهائج اهيج له * اقبل ابو نواس ومعه

الحرامي الكاتب وكان اطيب الخلق وقد كانا قبل ذلك قد نظرا الى

الفيلة فابصرا غرمول فيل منها * فعلم الحرامي ان غرمول الفيل يوصف بالجعبة

فوصف لنا غرموله وانشدنا فيه شعرا لنفسه فقال *

شعر السقنقور

كانه لما دنا للعبث * جعبة ترك علاها اللبد *

قلنا له اتوب ولحلبت ذكر اللبد عن غير حاجة قال فاني قد قلت غير

هذا قلنا فانشدناه فقال *

كانه لما دنا للشد * شمعة قبل لفقت في لبد *

قلنا له فلا نرى لك بدا من اللبد على حال * قال ابو نواس فاني اقول غير بيتين

قال فهاتهما فقال *

كانه لما دنا للوثبة * ابوز لعيار جمعن ضربه *

قال الحرامي لابي نواس هبنيهما بان لا تدعيهما فعسى ان

انتحلهما قلت له وما ترجوا من هذا الضرب من الاشعار قال قد رايت

غرموله فما عذري عند الفيل ان لم اقل فيه شيا * حدثني صديق

لي قال رايت الفيالين على ظهر فيل من هذه الفيلة واقبل صبي يريد

السندي الراكب فكلم الفيل بالهندية فوقف ثم كلمه فمد يده رافعها

في الهوا حتى ركبها الغلام ثم رفع يده حتى مد السندي يده فاخذ بيد الصبي *

وللبقر والجواميس اربعة اخلاف في مؤخر بطونها وللشاة خلفان وللناقة اربعة
في مؤخر البطن وللمراة والرجل والفيل ثديان في الصدر وثديا الفيل يصغر
جدا اذا قرنته الى بدنه وللسنور ثمانية اطباء وكذلك الكلبة في جميع
بطونهما والخنزيرة كثيرة الاطباء وللفهدة في بطنها اربعة اطباء واللبوة
طبيان لا يصغران عن مقدار بدنها والبقرة والاتان والرمكة والحجر
في ذلك سواء الا انها من الحافر اطباء ومن الظلف اخلاف والسباع في ذلك
والحافر سواء • وقال صاحب المنطق غرمول الفيل
يصغر عن مقدار بدنه وخصيته لاحقة بكليته لا تريان ولذلك يكون
سريع السفاد • وزعم الهندي صاحب كتاب الباه ان اعظم
الايور اير الفيل واصغرها اير الظبي • وما اعجب ما قرات في كتاب
الحيوان لصاحب المنطق وجدته قد ذكر راس الفيل وقصر عنقه ولم
يذكر انقلاب لسانه وذلك اعجب ما فيه ولم يذكر في كم تضع ولا
مقدار وزن اعظم الانياب • فاما ولده فانه يخرج من بطن امه

كتاب الحيوان لصاحب المنطق

نابت الاسنان والفيلة لا تلد التوام قال وهي تلد وتفرد •
وقد قال بعض العلماء لا يقال افذت واقردت الا لما يجوز ان تتم •
قال وامراضها اقل من امراض غيرها الا ان النفخ والرياح تعرض لها كثيرا
وتؤذيها اذى شديدا وعامة امراضها من ذلك حتى ربما منعها البول
وغير ذلك • قال واذا اكلت التراب ضرها ذلك ولا سيما اذا
اكثرت منه فعاودته • قال وربما ابتلعت منه الحجارة •
قال واذا اصابها استطلاق سقيت الماء الحار وعلفت الحشيش
المغسول واذا اتعبوها اعتراها البهر فتعالج عند ذلك بان تدلك
اكتافها بزيت وماء حار • قال وبعضها يشرب الزيت شربا ذريعا •
قال واذا اصعب الفيل او كان في حدثان ما اقطعوه من الوحش
فانهم يرون عليه فيلا مثله ويحتال له في ذلك فما اكثر ما يجدونه
بعد ذلك قد لان • قال وهو ما دام راكبه عليه فالين من
كل ذي اربع واحسن طاعة ولكن لبعضها صعوبة عند نزوله عنه

فاذا شدوا مقاديم قوايمها بالحبال شدًّا شديدًا لانت وهي على صعوبتها
تانس كثيرًا واقل ما تعلم السجود للملك فاذا عرفه فكل ما رآه سجد
له . واما صدق الحس فهو يفوق في ذلك جميع الحيوان وهو
والجمل سواء اذ علمنا ان الانثى قد لقحت لم يعاودها للضراب وهذه
فضيلة مذكورة في حس الجمل وقد شاركه الفيل فيها وباينه بخصال
اخر وانات الفيلة وذكورتها متقاربة في السن وكذلك النساء
والرجال وهو هندي الطبايع نشاء في الدفاء وهو اجرد الجلد فلذلك
يشتد جزعه من البرد وان كان اجرد الجلد فما قولهم في احاديثهم
وطلبوا من الملك الفيل الابيض والفيل الابقع وجا فلان على الفيل الاسود
قال ـــــ واخبرني رجل من البحريين لم ار فيهم افصح منه ولا اسدّ
ولا اقل تكلفا قال لم اجدهم يشكون ان فيّا لا اضرب فيلًا فاوجعه
والح عليه وانهم عند ذلك نهوه وخوفوه منه وقالوا لا تتم حيث ينالك
فانه من الحيوان الذي يحقد ويطالب فلما اراد ذلك السايس القايله

شدّه الى اصل شجرة واحكم وثاقه ثم تنحّى عنه بمقدار اذرع وثم
ولذلك السايس جمّة قال فتناول الفيل بخرطومه غصنًا كان مطروحًا
فوطي على طرفه حتى تشعث ثم اخذه بخرطومه فوضع ذلك الطرف على
جمّة الهندي ثم لواه بخرطومه فلما ظن انها قد تشبكت به وانعقدت
جذب العود جذبة فاذا الهندي تحت قوايمه فخبطه خبطة كانت نفسه فيها
وان كان هذا الحديث حقًا في اصل مخرجه فكفاك بالفيل معرفة
ومكيدة وان كان باطلًا فانهم لم يخلوه مثل هذه الحيل دون غيره
من الدواب الا وفيه عندهم ما يحتمل ذلك ويليق به
قال ـــــ والعرق الذي يسيل من جبهته في زمان من الزمان يضارع
المسك في طيبه ولا يعرض له وهو في غير بلاده وقد علمنا ان لرائحة
الطيب فضيلة اذا كان بالمدينة وان الناس اذا وجدوا ارائح النوى
المنقع بالعراق هربوا منه واشراف اهل المدينة يتنابون المواضع التي
يكون ذلك التماسا لطيب تلك الرايحة . ويزعم تجار البنت

عجيبه

ممن قد دخل الصين والزانج وقلب تلك الجزائر وتغب في البلاد ان كل
من اقام بقصبة تبت اعتراه سرور لا يدري ما سببه ولا يزال متبسما ضاحكا
من غير عجب حتى يخرج منها • ويزعمون ان شيراز من بين قرى
فارس لها نفحة طيبة • ومن مشى في طرقات مدينة الرسول
صلى الله عليه وجد منها عرفا طيبا وبنة عجيبة • لا تخفى على احد ولا
يستطيع ان يسميها • ولو ادخلت كل غالية وكل عطر من
المعجونات وغير المعجونات قصبة الاهواز او قصبة انطاكية لوجدته قد
تغير وفسد اذا اقام فيها الشهرين والثلثة • واجمع اهل
البحرين ان لهم بسرا يسمى النارنجي وان من فضخه وجعله نبيذا
ثم شربه وعليه ثوب ابيض صبغه عرقه حتى كانه ثوب يمني •
وزعم لي بعض البحريين انها بالهند تكون نقالة وعوامل كعوامل
الابل • والنقالة التي تكون في الكلا والسوق وانما تذل لذلك
وتسامح وتطاوع • وان لها غلات من هذا الوجه •

من قصب حوز شيراز والمدينة

من قصب الاهواز وانطاكية

من صبغ عرق البحرين

وزعم ان احد هذه الفيلة التي رايناها بسر من راى انه كان لقمان بارض
سند ان يحمل عليه الثياب الى الموضع الذي يغسلها فيه • ولا اعلمه الا الفيل
الذي بعث به ماهان او بكر بن عطية • قالوا وعظام الفيل
كله عاج الا ان جوهر الناب اكرم واثمن • وان اكثر ما ترى من العاج
الذي في القباب والحجال والفلك والمداهن انما هي من عظام الابل يعرف
ذلك بالرزانة والملاسة • والعاج متجر كبير ويتصرف في
وجوه كثيرة شريفة • ولولا قدره لما فخر الاحنف بن قيس به فيما فخر به
على اهل الكوفة حيث قال نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا
وخراجا • ويقال انه من كلام خالد بن صفوان • ويقال انه من كلام
ابي بكر الهذلي • واذا خفق باذنه الفيل فاصاب ذبابا او
بعوضا او زنبورا لم يفلح • والفرس الكريم تقع الذبابة على موق عينه
فيصفق باحد جفنيه الآخر فتخر الذبابة ميتة •
قال ابن مقبل •

كأن اصطفاق مأقيه بطرفه صفاق أديم بالأديم يقابله

ويصبح الحمار فتصعق منه الذبابة فتموت قال العبشمي

من الحمير صعقا ذبابه بكل ميثاء كتغريد المغن

وقال عقبة بن مكدم التغلبي

وتري طرفها حديدا بعيدا لعوجيا يطن راس الذباب

وقال ابن مقبل

تري النعرات الخضر تحت لبانه فرادي ومثني اصعقتها صواهله

وقال في غير هذا الباب

اني بالقصا بصير

اني لقاص بن شيبان وايل وبشكر خنزيرا ارب قصير

وجدنا بني شيبان خرطوم وايل وبشكر خنزيرا ارب قصير

وليس هذا موضع هذين البيتين وانشد

امسي المضاء ورهطه في غبطة لسبوا كما كان المضاء يقول

لا تخراء الذبان فوق انوفهم فاليوم تخراء فوقها وتبول

ابو الحسن قال قال زياد ودخل داره وكان بناها له فيل مولاه فلم يرض

بناءها فقال ادعوا الي فيلا فلم يجدوه فقال ليتها في بطن فيل وفيل في البحر

وكان فيل شديد اللكنة فاهدي بعضهم لزياد حمار وحش فقال له

فيل اصلح الله الامير قد اهدوا لنا همار وهش قال اي شي تقول ويلك

قال قد اهدوا لنا ايرا يريد عيرا فقال زياد الاول امثل

وكان ابو مالك يقول العيثوم الفيل الانثي وذهب الي قول الشاعر

وطئت عليك بخفها العيثوم

فذلك قول علقمة بن عبدة علي ان العيثوم من صفات العظيم الضخم

وقال

تتبع جونا اذا ما هيجت زجلت كأن دفا علي العلياء مهزوم

اذا ترغم من حافاتها ربع حنت شعاميم من اوساطها كوم

يهدي بها اكلف الخدين مختبر من الجمال شديد الخلق عيثوم

وقد كثروا في ضرب المثل بتباعد ما بين الجنسين وقال

عبد الرحمن بن الحكم

أتغضب أن يقال أبوك عفّ ... وترضى أن يقال أبوك زانِ

فأشهد أنّ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيل من ولد الأتانِ

فجعل معوية من نسل الفيل لشرفه وجعل زيادا من نسل الحمار لضعته ولعمري
لقد ابعد وكذلك قول الكميت

وداعي الأشعرين أخ لعلٍّ ... كما نسب الخروف الى الافيل

ولعمري لقد بعد لان الغنم وان كانت من النعم من ذوات الجرة والاروش
فان ما بين الغنم والابل بعيد وقوله

وملحقت الضباب معطفات ... على الحيتان من شبه الحيول

فهذا ابعد وابعد لانه وان ذهب الى ان ولد نزار عرب فهم في معنى
الضباب وساكني الصحاري واولئك عجم وجعلهم كالسمك الذي يعيش في
الماء الا ترى ان معوية بن سفين بن معوية بن يزيد لما قتلته ضبة
دست في استه سمكة وقد قال جرير

ما بين تيم واسمعيل من نسب ... الا قرابة بين الزنج والروم

قال قطرب الصقالبة ابعد قيل له ان جريرا لا يفصل بين الصقالبة
والروم وعلى معنى الكميت قال الآخر

حتى يؤلف بين الضب والنون

وتقول العرب لا يكون ذا حتى يجمع بين الاروى والنعام
لان الاروى جبلية والنعام سهلية وقد قال الكميت

يؤلف بين ضفدعة وضبّ ... ويعجب ان نبرّ بني ابينا

وهذا هو معناه الاول وابعد من هذا كله قول الشاعر

حتى يؤلف بين الثلج والنار

قال ابو الحسن المدايني قلت لابي دهمان الغلابي عن الوقاصي
قال وحدثني بذلك الغلابي عن الوقاصي قال قالت جارية لامها
ليلة زفافها يا امّه ان كان اير زوجي مثل اير الفيل كيف احتال
حتى انتفع به قال فقالت الام اي بنيّه قد سالت عنها امها فقالت لا

تجوز الا ان يجعلك الله مثل امراه الفيل قال فسكت حولا ثم قالت لامها
يا امه فان سالت ربي ان يجعلني مثل امراه الفيل اتطمعين ان يفعل قالت
يا بنيه سالت عن هذه المسله امي فذكرت انها سالت عنها امها فقالت لا
يجوز ذلك الا ان يجعل الله جميع نسا الرجال مثل نسا الفيله اتطمعين
ان يفعل ذلك قالت يا بنيه قد سالت عن هذه المسيله امي فذكرت انها قد
سالت عنها امها فقالت لا يجوز ذلك الا ان يجعل الله جميع رجال النسا
مثل رجال الفيله قال فسكت عنها حولا ثم قالت يا امه لو سالت ربي
ان يجعل جميع رجال النسا مثل رجال الفيله اتطمعين ان يفعل قالت يا بنيه
قد سالت عن هذه المسيله امي فذكرت انها قد سالت عنها امها وانها قالت
يا بنيه ان جعل الله جميع الناس فيله لم تجد امراه الفيل مع عظم بدنها
من اللذه الا مثل ما تجدين انت اليوم مع ذو جك من اللذه فقد ذهب عنك
لذه الشهوه والعناق والتقبيل والضم والتقليب والعض والصبغ والحلي
والمشطه والعتاب والتقديه وجميع ما لك اليوم قال فسكت عنها

حولا ثم قالت يا امه ان سالت ان يجعل اير الفيل العظم اتطمعين ان يفعل
قالت لام اي بنيه قد سالت عن هذه المسله امي فذكرت امي انها قد سالت
عنها امها اعظم جبل حر امراه الفيل وسع فيعود امركما الي الامر
الاول قال فسكت عنها حولا ثم قالت يا امه فان سالت ربي ان يجعل
اير الفيل اشد غلمه فصير عددا كوامه اكثر اتطمعين ان يفعل ذلك
قالت اي بنيه قد سالت عن هذه المسله امي فذكرت انها قد سالت عن
ذلك امها وانها قالت اي بنيه فسلي الله ان يجعل زوجك اشد غلمه مما هو
عليه ولكن لا تسليه ذلك حتي تسليه ان لا يبدل في غلمتك قالت
يا امه فان سالت ربي ان يجعله في غلمه التيس اتطمعين ان يفعل قالت اي
بنيه قد سالت عن هذه المسله امي فذكرت انها قد سالت عنها امها وانها
قالت لا يجوز ان يجعله في غلمه التيس حتي يجعله تيسا قالت يا امه فان
سالته ان يجعله تيسا اتطمعين في ذلك قالت اي بنيه انه لا يجعله تيسا
حتي يجعلك عنزا قالت اي امه فان سالته ان يجعله تيسا ويجعلني

عنزا انطمعين ان يفعل ذلك قالت اي بنيه قد سالت عن هذه المسله
اني فوجدتها في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة وما اشك
ان اجلي قد دنا فلم تلبث الام الا ايام حتى ماتت

باب الظلف

وفي الظبا وهي معز والمعز اجناس والبقر الوحشي ذات اظلاف
وهي بالمعز اشبه منها بالبقر الاهلي وهي في ذلك تسمى نعاجا وليس
بينها وبين الظبا وان كانت ذوات جرة وكرش وقرون واظلاف
تسافد ولا تلاقح وهي تشبهها في الشعر وفي عدم السنام
والظلف الوعل والايل والتامور والايل جبليات كلها لا ادري
كيف التسافد والتلاقح منها ومن الظلف الخنازير وهي
بلا كرش ولا جرة ولا قرن وليس بينها موافقة الا في الظلف
وفي الخنازير ما اسن ظلفه بمشق فذاك هو المخالف بالناب وبعدم هذه
الاشيا كلها وتشاكل المعز والبقر والظبا بالشعر وقصر الذنب

وتخالف البقر والجواميس في طول الذنب وفي عدد ايام الحمل
ومن الظلف الضان والمعز وقد يكون بينهما تسافد وتلاقح الا انها
تلقيه مليطا قبل ان يشعر وذلك اقل من القليل
ومن الظلف البقر الاهلي والجواميس وهي اهلية ابدا وهي موافقة
للضان في القرن وعدم الناب وفي الجرة والكرش وتخالف
الضان في الصوف والسنام وتوافق المعز في الشعر وتخالف في السنام
وتخالف جميع الغنم في الحمل لان الغنم تضع كما تضع المراة في تسعة
اشهر وليس يشبه المراة في شي غير ذلك الا ما يذكرون من الغبب
ونشو الكامل فانهما تماما كانا في بعض النسا واكثر ذلك في
نسا الدهاقين

القول في الزرافة

قال الزرافة تكون في ارض النوبة فقط وهي تسمى بالفارسية
اشتركاوپلنك كانه قال بعير بقرة نمر لان بلنك نمر فزعموا ان

الزرافة ولدا للنمرة من الجمل فلو زعموا ان الجمل يكوم الضبع ويكوم
بعض ماله اظلاف ما كان الا كذلك والمسافدة في اجناس المخلب
والخف والحافر عامة ولو جعلوا الفحل هو النمر والانثى هي الناقة كان
ذلك اقرب في الوهم وليس كل ذكر يكوم انثى بالمجان وقد يكوم
الانسان الدابة بشهوة منهما جميعا ولا يكون تلاقح كما اتفقا في المسافدة
والراعي يكوم الغنم وغير الغنم فانظر كم من ضرب ادعوا مما لا يعرف
فواحدة ان بهيمة ذكرا اشتهى سبعا انثى وهي من اصعب السباع
ثم الثانية انه الفح وثالثه ان ارحام النمور لا تتسع لاولاد الابل
قالوا نمورهم عظام والبلهم لطاف وقد تتسع ارحام القلاص العربية
لفوالج كرمان فيجي بينها البخاتي ولولا انه قد جاز ان يكون
النمر يكوم الناقة فتتسع ارحامها لذلك قالوا وفي اعالي بلاد
النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى
شرايع المياه فتتسافد هناك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجي من

ذلك خلق عظيم مختلف الصورة والشكل والقدر منها الزرافة فللزرافة
خطم الجمل وجلد نمر والراس والاظلاف للايايل والذنب للظبي والاسنان
للبقرة فان كانت امها ناقة فقد كان ها من ايل وظبي
في تلك الشرايع وهذا القول يدل على جهل شديد
والزرافة طويلة اليدين متحنية الى ما اخيرها وليس لرجليها ركبتان
وانما الركبتان ليديها وكذلك البهايم كلها وعياه انما اراد الثقاف
والانسان ركبتاه في رجليه ويقولون اشترمرغ للنعامة على
التشبيه بالبعير والطاير يريدون تشابه الخلق على الولادة ويقولون
للجاموس كاوماش على ان الجاموس يشبه الكبش والثور لا على الولادة
لانه كاو بقرة وماش اسم للضان وقال الاخر تضع
ام الزرافة ولدها من بعض السباع ولا يشعر الناس بذلك الذكر
قالوا كاوماش على شبه الجواميس بالضان لان البقر والضان لا يقع
بينهما تلاقح والتفليس الذي في الزرافة لا يشبه تفليس النمر وهو بالببر اشبه

ن

اشترغ

كاوميش

وما النمر يلحق به من هذا الوجه من الفهد قد يصلح ان تسمج الضبع للذيب
والذيبة للديخ والكلبة للذيب وكذلك الثعلب والهر وكذلك الطير
واجناس الحمام كالورداني والورشان والحمام وكالشهري من بين الحجر
والبرذون والرمكة والفرس وكالبغل والرمكة والحمار فاما نزول الجمل على
النمرة والجمل لا بد من ان تكون طروقته باركة فكيف نزل
النمر للجمل والسباع انما تتلاقح وتتسافد وهي قايمة وكذلك
الظلف والحافر والمخلب والخف — والتمساح والانسان يتبطنان
الانثى والطير كله انما يتسافد بالاستناه والحيات تنطوي بعضها
على بعض واجناس الانعام والسباع والخنازير من خلف وهي قايمة
وزعموا ان الغراب يزاق والحجل والقبج ربما القحا الاناث اذا كانا
على علاوة الريح — ولا تكون الولادة الا في موضع القا
النطفة والشي الذي يلقح منه — واما السمكة فقد عاين
قوم معارضة الذكر للانثى فاذا سبح الذكر الى جنب الانثى

عقف ذنبه معقفت ذنبها فيلتقي المبالان فتكون الولادة من
حيث يكون التلقيح لا يجوز غير ذلك — والذين زعموا
ان النخلة تلقح من الفحل اذا كانت في سفالة الريح من شي ينفصل
من الذكر فانما شبهوا الفحل بالنخل فان النخلة ربما القحت من ريح
كافور الفحال اذا كانت تحت الريح — قال سهل الشرقي
عن مخابرة ما بين ذوات القرون والجم قال الابل والخيل من الخف
والحافر والبرثن والمخلب والقدم الذي هو للانسان قال فمن جمال
ذي القرنين ان منه واليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القران
ويزعم بعضهم انه الاسكندر — وقال امية بن
ابي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد

ويقال ضربه على قرنه وقرن من دم كما يقال قرن من عرق
والقرن امة بعد امة والقرن شي يصيب فروج النساء شبيه بالعفلة

والفيل من ذوات القرون وفي الحيات والافاعي ما لها قرون

وانما ذلك الذي تسمع به قرن انما هو شي يقولونه على التشبيه لانه من جنس

الجلد والغضروف ولو كان من جنس القرون لكانت الحية صلبة

الراس والحية اضعف خلق الله راسا وراسه هو مقتله لان كل شي له

قرن فراسه اصلب وسلاحه اتم والقرن سلاح عتيد غير مجتلب

ولا مصنوع وهولا ذوات القرون في الرووس وللكركدن في

جبهته والجاموس اوثق به من الاسد بمخلبه ونابه وتقول

المجوس يحيى بشوتن على بقرة ذات قرون وظهرت الاية في شان

داود وطالوت في القرن وشبور اليهود من قرن والبوق في الحروب

منذ كانت الحرب انما كان من قرن وبوق الرحى قرن والايل ينصل

قرنه في كل عام وكان سنان رمح الفارس في الجاهلية روق

ثور ويسمى الرجل بروق والروق كالشي يعاقب الشي وفي العرب

روق وابو روق قال بشار في العتاب

لعقبته الجنوب روقا من الارنب

وقال ابن ميادة

دانت له الروقان من وايل وقبله دانت له حمير

الروقان بكر وتغلب ويقال قرن الضحى وقرن الشمس وقرون

الشعر وقرن الكلا وقرون السنبل واطراف عروق النخل واطراف

عروق الحلفا وابرة العقرب كلها قرون والاجناس التي

تكون لها القرون تكون قرونها في الذكور منها وقد يكون في

الفحل احجم كما ان اللحى عام في الرجال ويكون فيهم السنوط وقد

تتشعب قرون الظبا اذا اسنت وقرون الظبا وبقر الوحش شداد

جدا وانما تعتمد الاوعال في الوثوب ومن القذف بانفسها من

اعالي الجبال الى اسفل على القرون والاغلب على القرون ان تكون

اثنين اثنين وقد يكون لبعض الغنم قرون عدة والجواميس تمنع

انفسها واولادها من الاسد بالقرون وبقر الوحش تمنع انفسها

واولادها من كلاب القناص ومن السباع التي تطيف باولادها

بالقرون • وقال الطرماح •

اكل السبع طلاها فما تبل الأشباح غير اهزام •

قال ابن النوبختي اقبلت من خراسان في بعض طرق الجبال •

فرايت اكثر من ميلين متصلين في مواضع كثيرة في الارض اثر ست

ارجل فقلت في نفسي ما اعرف دابة لها ست ارجل فاضطررت في الامر الى

ان سالت المكاري فزعم ان الخنزير الذكر في زمان الهيج يركب

الخنزيرة وهي ترتع وتذهب نحو مبتغاها فلا يقطع سفاده اميالا ويداه

على ظهرها ورجلاه خلف رجليها فمن راى تلك الآثار راى ست ارجل •

لا يدري كيف ذلك قال فالخنزير في ذلك على شبيه بحال الذباب

الذكر اذا سقط على ظهر الانثى في طول السفاد وان الحمل في

ذلك لعجيب الشان فاما العدد فالعصفور • ويحكى ان للورل

في ذلك ما ليس لشيء يعني في القوة • وانشد ابو عبيدة •

اطلب ما يتلوه صحيفة ٨

منكا فجعل المكاء يرفرف على راسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاها

تريده وهمت به القى فيه حسكة فاخذت بحلقها حتى ماتت •

وانشدني ابن الاعرابي عند هذا الحديث قول الشاعر •

كان لك عند كل سخيمة يريد تحريق الاديم اسبلا لما •

وانشد ابو عمرو الشيباني بيت شعر وهو هذا المعنى بعينه وهو قول

الاسدي ثم الدبيري •

ان كنت ابصرتني فذا ومصطلما فربما قتل المكاء ثعبانا •

يقول قد يظفر الذليل بالكثير الاعوان والمكاء من

اصغر الطير واضعفه وقد احتال للثعبان حتى قتله •

وقال صاحب بنوس في الاخبار عن معارف البهائم والطير وفي التعجب

من ذلك وتعجب الناس منه فلو الى من علم النسر الانثى اذا خافت

على بيضها وفراخها الخفافيش ان تفرش ذلك الوكر بورق الدلب

حتى لا تقربه الخفافيش وهذا عجب والاطباء والعلماء لا

يبدا فعونه والسنور من المنسوبة الى قلة المعرفة والكيس
والفطنة ❊ قال وقال ابن الاعرابي وابو الحسن المدايني
قال رجل من العرب كان سنان بن ابي حارثة احزم من فرخ العقاب
قال وذلك ان جوارح الطير تتخذ وكارها في عرض
الجبل فربما كان الجبل عمودا فلو تحرك الفرخ اذا طلب الطعم
وقد اقبل اليه ابواه او احدهما او زاد في حركته شيا من موضع
مجثمه لهوى من راس ذلك الجبل الى الحضيض وهو يعرف مع صغره
وضعفه وقلة تجربته ان الصواب في ترك الحركة ولو وضع في
اوكار الوحشيات فراخ من فراخ الاهليات لتهافتن تهافت الفراخ
القطا والحجل والقبج والدجاج لان هذه تدرج على البسط وذلك
لها عادة وفراخ الوحشية لا تجاوز الاوكار لانها تعلم وتعرف
ان الهلكة في المجاوزة واولاد الملاحين الذين ولدوا في
السفن الكبار والمشاهرات العظام لا يخاف الآبا والامهات

عليهم اذا درجوا وحبوا ومشوا ان يقعوا في الما فيغرقوا ولو ان
اولاد سكان القصور والدور ربوا في مكان سكانها السفن
لهلكوا ولكل شي قدر وله موضع وزمان وجهة وعادة فاذا
استوى قصب ريش فرخ العقاب واحس بالقوة طار وابوا فرخ
الخطاف يعلمانه الطيران تعليما ❊ زعم ناس من اطبا
النصارى وهم اعدا اليهود ان اليهود يختنون اولادهم في اليوم
الثامن وان ذلك يقع ويوافق ان يكون في الصميمين كما يوافق
الفصلين وانهم لم يروا يهوديا قط اصابه مكروه من قبل الختان
وانهم قد راوا من اولاد المسلمين والنصارى ما لا يحصى ممن لقي المكروه
في ختانه اذا كان في الصميمين من ريح الحمرة ومن قطع
طرف الكمرة ومن ان تكون الموسى حديثة العهد بالاحداد
وسقي الما فتنشط عند ذلك الكمرة ويعتريها برص والصبي
ابن ثمانية ايام اعسر ختانا من الغلام الذي قد شب وشدن

وقوي الا ان ذلك البرص لا يفشي ولا يعدو وهو في ذلك نحو البرص
الذي يكون من الكي واحراق النار فانهما لا يفحشان ولا يتسعان
ويختن من اولاد السفلة والفقراء الجماعة الكثيرة فيومن عليهم
خطاء الختان وذلك غير مامون على اولاد الملوك واشباه الملوك
لفرط الاجتهاد وشدة الاحتياط ومع ذلك تزمع ومع الزمع والرعدة
يقع الخطاء وعلى قدر رعدة اليد ينال القلب من الاضطراب
وليس من التدبير ان يحضر الصبي والختان الا سفلة الخدم ولا
يحضره احد ممن يهاب وهذا الختان في العرب في النساء
والرجال من لدن ابرهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبي قط
مختونا او في صورة مختون وناس يزعمون ان النبي صلى الله عليه
وعيسى بن مريم عليه السلم ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا
الرجوع الى الرواية الصحيحة والاثر القايم قال
والبظراء تجد من اللذة ما لا تجد المختونة فان كانت مستاصلة

موعبة كان على قدر ذلك واصل ختان النساء لم يحاول به الحسن
دون التماس نقصان الشهوة فيكون العفاف مقصورا عليهن ولذلك
قال النبي صلى الله عليه للخاتنة يا ام عطية اشمي ولا
تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند البعل فكانه صلى الله عليه
اراد ان ينقص من شهوتها بقدر ما يردها الى الاعتدال فان
شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الازواج وحب الزوج
قيد دون الفجور والمراة لا تكون في حال من حالات الجماع
اشد شهوة منها للكوم الذي تحب منه وقد كان
رجل من كبار الاشراف عندنا يقول للخاتنة لا تعرضي منه الا لما
يظهر فقط وزعم حباب بن الخشخاش القاضي انه
احصى في قرية واحدة عددا المختونات والمعبرات فوجد اكثر
العفايف موعبات واكثر الفواجر معبرات وان
نساء الهند والروم وفارس انما صار الزنا وطلب الرجال

اشد فلذلك تتخذ الهند دور الزواني قالوا وليس لذلك علة الا
وفاره البظر والقلفة والهند توافق العرب في كل شي الا في
ختان النسا والرجال دعاهم الى ذلك تعمقهم في حظايق فن الباه
قالوا ولذلك اتخذوا الذلك الادوية وكتبوا في صناعة الباه
كتبا ودرسوها الاولاد قالوا ومن اكبر ما يدعوا النسا الى
السحق انهن اذا الزقن موضع محز الختان بموضع محز الختان
وجدن هناك لذة عجيبة وكلما كان ذلك منهما اوفر كان ذلك
السحق الذ ولذلك لبصار حذاق الرجال يضعون اطراف الكمر ويعمدون
بها على محز الختان لان هناك مجتمع الشهوة ومن الباب

الذي ذكرنا فيه صدق احساس الحيوان ثم اللاتي تضاف منها الى
الموق وتنسب الى العمارة قال داوود النبي
عليه السلم في الزبور شوقي الى المسيح مثل الايل الذي اذا اكل
الحيات فاعتراه العطش الشديد تراه كيف يدور حول الما
ويحجزه من الشرب منه علمه بان في ذلك عطبه لان السموم
حينئذ تجري مع هذا الما وتدخل مداخل لم يكن ليبلغها الطعام
بنفسه وليس علم الايل بهذا كان عن تجربة متقدمة بل
هكذا يوجد في اول ما ياكل الحيات وفي اخرها وربما اصطيد
الايل فيجد القناص رووس الافاعي وساير الحيات ناشبة الاسنان
في عنقه وجلده وجهه لانها تريد اكلها فربما بدرته الافعى والاسود
وغيرهما من الحيات فتعضه وهي تاكلها وتاكل ما تنال منها
ويفوته ما تعلق به منها بالعض فتبقى الرووس مع الاعناق معلقة عليه
الى ان تنقطع قالوا وليس شي من ذوات القرون تنصل قرنه في كل عام
الا الوعل فاذا علم انه غير ذي قرن وانه عديم السلاح لم يظهر
من مخافة السباع فاذا طال مكثه في موضعه سمن فاذا اسمن
علم ان حركته تثقل وتبطي فزاد ذلك في استخفايه وقلة
تعرضه واحتال بان لا يكون ابدا على علاوة الريح فاذا الجسم

قرنه لم يجد بدا من أن يقطعه ويعرضه للشمس والريح حتى إذا يبس
بان قرنه وقد اشتد أكثر المجيء والذهاب التماسا أن يذهب شحمه ويشتد
لحمه فعند ذلك يحتال في البعد من المسلخ حتى إذا أمكنه استعمال
قرنيه في النزول والاعتماد عليهما والوثوب من جهتهما رجع إلى
حاله من مراعيه وعاداته ولذلك قال عصام بن زفر

نرجو الثواب من صبح بلا جمل • قد مصه الدهر فما فيه بلل

إن صبحا طاعن فتحمل • قد أتى منك بشعب من جبل

كما يلوذ من أعاديه الوعل

فضرب به المثل كما ترى في الاحتيال والهرب من أعاديه
وقال الراجز

لما رأيت البرق قد تبسما • وأخرج القطر القروع الأعصما

قال ابن الأعرابي إنما سموا الوعل القروع لأنه يقرع عجب
ذنبه من الناحيتين جميعا وقال ابن الكلبي قال الشرقي

بن القطامي ذات يوم أرأيتم أن لو فكر رجل منكم عمره الأطول
في أن يعرف الشيء الذي منه تتخذ الزنابير بيوتها المخرقة بمثل الجوب
في الأقدار المتحاجزة بالحيطان المستديرة المضمن بعضها ببعض
السخيفة في المنظر والخفيفة في المحمل المتقاربة الأجزاء فهي
البيوت التي يعلم أنها بنيت من جوهر واحد وكأنها من ورق
أطباق صغار الكاغد المرزرة فقولوا لي من أي شيء جمعته
وهو لا يشبه البناء ولا النسج ولا الخياطة ولم يفسر ابن الكلبي
ولا الشرقي في ذلك شيئا فلم يصر في أيدينا منهما إلا التعجب
والتعجيب فسألت بعد ذلك مشايخ الأكرة فزعموا أنها تلتقطه
من زبد المدود قالوا فلا ندري أمن نفس الزبد تأخذ أم من
شيء يكون في الزبد والذي عرف الزنابير مواضع تلك الأجزاء
ودلها على ذلك الجوهر هو الذي علم العنكبوت ذلك
النسج وقد قال الشاعر

كان قاهرون اذ يعلونه فقاع عنكبوت سل من دبرها غزل

وقد قال ــــــــ بلا علم واما دودة القز فبلا شك انما تخرجه من

جوفها وزعم الاطباء انهم انما استفادوا معرفة الحقنة من قبل

الطاير الذي اذا اصابه الحصر اتى البحر فاخذ بمنقاره من الماء المالح

ثم استدخله فمجه في جوفه وامكنه ذلك بطول العنق والمنقار

فاذا فعل ذلك ذرق فاستراح والقنفذ وابن عرس اذا نهشا

الافاعي والحيات الكبار تعالجا باكل الصعتر البري والعقاب

اذا اشتكت كبدها من رفعها للارنب والثعلب في الهواء وحطها

لهما مرارا فانها لا تاكل الا من الاكباد حتى تبرا من وجع كبدها

قال ــــــــ وسالت القناص ما رغبة الثعلب في اكل القنفذ وان

كان حشو اهابه شحما سمينا وظاهر جلده شوك صلاب حاد متقارب

كتقارب الشعر في الجسد فزعموا ان الثعلب اذا اصابه قلبه لظهره

ثم بال على بطنه فيما بين مغرز عجبه الى فكيه فاذا اصابه ذلك

دودة القز

من حقنة

علاج نهش الافاعي

علاج وجع الكبد

حيلة الثعلب لاكل القنفذ

البول اعتراه الانبساط فانبسط وتمدد فيقبض عن بطنه فمن تلك

الجهة ياكل جميع بدنه ومسلوخه الذي يشتمل عليه جلده وقالوا

ويشبه بهذه العلة تصيد الظربان الضب في جوف جحره حتى يغتصبه

نفسه وذلك انه يعلم انه انتن خلق الله فسوة فاذا دخل عليه جحره

سد خصاصه وفروجه ببدنه وهو في ذلك مستدبره فلا يفسو

عليه ثلث فسوات حتى يغطى به فياكله كيف شاء قالوا وربما

فسا وهو يقرب الهجمة وهي باركة فتتفرق في الصحرا فلا

يجمعها راعيها الا بالجهد الشديد ولذلك قال الشاعر

لا تمنحوا صقرا فما المنيحة انت آل صقر من ثواب ولا شكر

فما ظهر ابن بوس الضب فسوه بأنتن لو ما قد علمناه من صقر

ولذلك قال الراجز وهو يذكر تكسب الظربان بفسوه وطعمه وقوته

كما يتكسب الناس بالصناعات والتجارات فقال

بانا بحكان غطاريف القتب • مستمسكين بالبطان والحقب

كاحمال القين اطراف الخشب * وابن بن يد حرب من الحرب

لا ينفع الصاحب الا ان يثب * كالطيران بالفضاء يكتسب

قال ابن الاعرابي قلت لشيخ من قريش من علمك هذا وانما يحسن
مثل هذا اصحاب التجارات والكتب وانت رجل مكفي مودع قال
علمني الذي علم الحمامة على بلهها تقليب بيضها لكي تعطي الوجهين جميعا
نصيبهما من الحضن ولخوف طباع الارض اذا دام على الشق الواحد
والحمام ابله ولذلك كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه يقولون
كونوا بلها كالحمام الا ترى ان الحمام في الوجه الذي الهمه الله
مصالح ما يعيشه ويصلح به شان ذرءه ونسله ليس يدون الانسان في
ذرءه ونسله مع ما خول من المنطق والهم من العقل واعطي من التصرف
في الوجوه * واذا جمع بعض اهل العبث او بعض اهل التجربة
بين العقرب والفارة في اناء زجاج فليس عند الفارة حيلة ابلغ من قرض
طرف ابرة العقرب فانها اما ان تموت من ساعتها واما ان تتعجل هي السلامة

واما قوله ولا تغترن بالشكير فانها تدع الطيران ايام الشكير فاذا
نبت الشكير وهو اول ما ينبت من الريش فانه لا ينهض حتى يصير الشكير
قصبا * واما قوله ولا تسقط على الجيفة فانما يعني جيفة
البهائم يقول اذا رايته علمت ان هنالك بهائم فهي لا تسقط في موضع
تخاف فيه وقع السهام والرخم والنسور والعقبان تتبع الجيوش
لتوقع القتال ولما يكون لها فيه من الجيف وتتبع ايضا الجيوش والحاج
لما يسقط من حسري الدواب وتتبعها في الازمنة التي تكون فيها
الانعام فالجون حوامل لما تؤمل من الاجهاض والاخداج

وقال النابغة

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزوا * كتائب من غسان غير اشائب

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر * اولئك قوم باسهم غير كاذب

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانح قد ايقن ان قبيله * اذا ما التقى الجمعان اول غالب

تراهن خلف القوم خزرا عيونها جلوس شيوخ في مسوك الارانب

فاخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال

يكسوا الفروبين نفوش الناشين به تحمل الروس تجان الكنا الذلل

قد عود الطير عادات وثقن بها ثمن يتبعنه في كل مرتحل

قال الكميت كما ترى

تحمق وهي كيسة الحويل

وقال اصحابنا زعم ان الناس يحمقونها وهي كيسة

قيل لاعرابي اتحسن ان تاكل الراس قال نعم قال كيف تصنع

قال ابخص عينيه وارمي بالدماغ الى من هو احوج مني اليه قيل له انك

لاحمق من ربع قال وما حمق الربع والله انه ليجتنب العدواء ويتبع

امه في المرعى ويراوح بين الاطباء ويعلم ان حنينها دعاء فاين

حمقه وحدث ابن الاعرابي عن هشام بن

سالم وكان مسنا من رهط ذي الرمة قال اكلت حية بيض

منها ثم يقبلها كيف شاءت وتاكلها هي فاحبت وقال

ومن علم الذرة ان تفلق الحبة او تاكل موضع القطمير لئلا تنبت

فتفسد فاذا كانت الحبة من حب الكزبرة فلقتها انصافا لم ترض

حتى تفلقها ارباعا لان الكزبرة من بين جميع الحب تنبت وان كانت

انصافا وهذا علم غامض اذ عرفه الشيخ الفلاح المجرب والفاشكار

الرئيس والاكار الحاذق فقد بلغ النهاية في الفلاحة

وقال ايضا جالينوس ومن علم الدب الانثى اذا وضعت

ولدها ان ترفعه في الهواء اياما تهرب به من الذر والنمل لانها

تضعه كفدرة من لحم غير مميز الجوارح فهي تخاف عليه الذر

وذلك لها حتف فلا تزال رافعة له وراصدة ومنقلة ومحولة له

من موضع الى موضع حتى يشتد وتنفرج اعضاؤه

وقال بشار الاعمى

اما الحياة فكل الخلق يحفظها وفي المعيشة الا لا مناكيره

وكل قسم فللعقبان اكثره • والحظ شي عليها الدهر مقصور •

وقال بشر اخو بشار وكانوا ثلثة لام واحد حنفي وآخر
سدوسي وبشار عقيلي وانما كان نزل في بني سدوس لسبب اخيه •
وقد كان قيل لاخيه لو خيرك الله ان تكون شيا من الحيوان اي شي
كنت تتمنى قال عقاب قال ولم تمنيت ذلك قال لانها تبيت حيث لا
ينالها سبع ذو اربع وتحيد عنه سباع الطير وهي لا تعاني الصيد الا
في الفرط ولكنها تسلب كل صيود صيده • فاذا جامع صاحب
الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي صاحب العقاب لم يرسلوا الطايرهم
خوفا من العقاب وهي طويلة العمر عاقة بولدها فهي لا تحمل على نفسها
في الكسب عليها وهي ان شاءت كانت فوق كل شي وان شاءت كانت
بقرب كل شي تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذي عليها
هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف وهي ابصر خلق الله هذا
قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها باولادها • فاما

اشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك •

قال دريد بن الصمة •

وكل لحوح في العنان كانها اذا اغتمست في الما فتخا كاسر •
لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر •

والحيوان المحمق الرخمة والحبارى • قال عثمن بن
عفان كل شي يحب ولده حتى الحبارى • وانثى الذئاب وهي التي
تسمى جهيزة • والضبع والنعجة والعنز هذه هي الموصوفات بالموق
جدا • وقال الآخر من الحيوان ما ليس عنده الا الجمال
والحسن كالطاوس وهو من الطير المحمق وكذلك التدرج
مع جماله وحسنه وعجبه وتيهه • والزرافة وهي ايضا موصوفة
بالموق ليس عندها الا طرافة الصورة وغرابة النتاج وهي من
الخلق العجيب مواضع الاعضاء • وتنازعها اشباه كثيرة فالفيل
عجيب طريف ولكنه قبيح مسيخ • وهو في ذلك بهي نبيل •

والعين لا تكرهه والقرد قبيح مليح وعند الشفا والمكا والعندبيل
وابن تمره مع صغر اجرامها ولطافة شخوصها وضعف اسرها من المعرفة ما
ليس عند الزرافة والطاووس . والشفا عجيب الامر ويقولون
عندبيل وعندليب وهو من اصغر الطير . واما الاجناس المائية
من اصناف السمك والاجناس التي تعايش السمك فان جماعتها موصوفة
بالجهل والموق وقلة المعرفة وليس فيها خلق مذكور ولا خصلة
من خصال الفطن الا كنحو ما يروى من صيد الجري للجرذان وحمل
تلك الدابة للغرقى حتى تؤديهم الى الساحل . والسمكة شديدة
البدن وكذلك الحية وكل شي لا يستعين بيد ولا رجل ولا جناح
وانما يستعمل اجزاء بدنه معا فانه يكون شديد البدن .
خبرني بعض الصيادين ان الشبوطة تنتهي في النهر الى الشبكة فلا
تستطيع النفوذ منها فتعلم انه لا ينجيها الا الوثوب فتتاخر قاب رمح
ثم تقبل جامعة اجرامها حتى تثب فربما كان ارتفاع وثبتها في الهواء

اكثر من عشر اذرع وانما تعتمد في علي ما . وهذا العمل اكثر ما روه
من معرفتها وليس لها في المعرفة نصيب مذكور . وانواع
السمك تغوص في الطين وذلك انها تتحرك وتتنفس في جوفه وتلزم
اصول النبات اذا لم ترتع وتلتمس الطعم والفساد وتحن [illegible] في بطن
دجلة والفرات وجميع الاودية والانهار عند نضوب الماء وانكشاف
الارض وظهور وجه الطين وعند الجزر ونقصان الماء في اواخر
الصيف وايام مجاوزة الاهلة والانصاف جحرا فقط فضلا على ما يقولون
ان لها في بطون الانهار بيوتا . ورايت عجبا اخر وهو اني
في طول ما دخلت البراري وجزت البلدان وجلت في صحاري جزيرة
العرب والروم والشام والجزيرة وغير ذلك ما اعلم اني رايت على لقم
طريق وجادة او شرك يصاقب ذلك او اذا جانبت الطرق وامعنت
في البراري وصرت الى الموضع الوحشي جحرا واحدا يجوز ان تدخله
ضبع او [illegible] ظباء او بعض هذه الاجناس الوحشية وما اكثر ما

اري الحجرة ولكني لم ار شيا يتسع للثعلب وابن آوى فضلا على هذه
الوحوش الكبار مما هو مذكور بالتولج في الوجارات والكناس
والعرين وجحر الضبع يسمى عرينا وهو غير العرين الذي يضاف الى الشجر
واما حفظ الحياة والبصر بالكسب والاحتراس من العدو والاستعداد
بالحيل فمثل ما عند الضبع واليربوع والقنفذ اذا سمن عرف انه مطلوب
وان حركته قد ثقلت فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي ذلك الزمان
الذي تسمن فيه الفهود ويعلم ان رائحة بدنه شبيهة الى الاسد والنمر
وهو الطف شما لارايح السباع القوية من شم السباع للرائحة الشبيهة
ني لا تكاد تكون على عداوة الريح والايل ينصل
قرنه في كل عام مرة فيصير كالاجم فاذا كان ذلك الزمان
استخفى وهرب وكمن فاذا نبت قرنه عرضه للريح وللشمس في
المواضع الممتنعة ولا يظهر حتى يصلب قرنه ويصير سلاحا يمتنع به
وقرنه مصمت ليس في جوفه قرن ولا هو اجوف الاسفل مصمت

الاعلى والبعير يبخل الغيضة والروضة وفي النبات ما هو غذاء ومنه
ما هو سم عليه خاصة ومنه ما يخرج من الحالين جميعا ومن الغذاء ما
يربيه في حال ولا يربيه في حال كالحمض والخلة ومنه ما يغتذيه
غير جنسه فهو لا يقربه وان كان ليس بقاتل ولا معطب فمن تلك
الاجناس ما يعرفه برؤية العين دون الشم ومنه ما لا يعرفه حتى
يشمه وقد يغلط في النشر فياكله كصنيع الحافر في الدفلى والناقة
تعرف قولهم حل والجمل يعرف قولهم جاه وقال
الراجز وهو يحمق رجلا هجاه فقال

يقول للناقة قولا للجمل ‖ يقول جاه ثم يثنيه بحل

ومما فضلت به اناث السباع والبهايم من الوحشية والاهلية في رفع
اللبن وارساله عند حضور الولد والمراة لا تقدر ان تدر على ولدها
وترفع لبنها في صدرها اذا كان المقرب منها غير ولدها والذي
اعطى الله البهايم في ذلك مثل يعرف به المعنى وتتوهمه

لتعلم انه تعالى وعز قد مكن الانسان على ان يحبس بوله وغائطه
الى مقدار، وان يخرجهما ما لم تكن هناك علة من حصر واسر، وانما
يخرج منه بوله ورجيعه بالارادة والتوجيه والتهيؤ لذلك، وقد جعل
اليه حبسه واخراجه وتاخيره وتقديمه على ما فسرنا فعلى هذا الطريق
طوقت اناث البهائم والسباع دفع اللبن وارساله، وقال
الله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم،
ثم قال ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم قال ثم الى ربهم
يحشرون، فالكلمة في الحشر مطلقة عامة، ومرسلة غير مستثنى
منها فاوجب في عموم الخبر على الطير الحشر، والطير اكثر الخلق،
وفي الحديث ان اكثر الخلق الجراد، ومن العقارب طيارة
قاتلة، وزعم صاحب المنطق ان بالحبشة حيات لها اجنحة، واشياء كثيرة
تطير بعد ان لم تكن طيارة منها الدعاميص، والنمل، والارضة،
والجعلان، والجراد ينتقل في حالات قبل نبات الاجنحة،

قالوا وحين عظم الله شان جعفر بن ابي طالب خلق له جناحين يطير بهما
في الجنة، كانه تعالى وعز الحقه بشبه الملائكة في بعض
الوجوه، وذكر الله الملائكة فقال اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع، ولا يقال للملائكة طير، ولا يقال انها من الطير دفعا
لاقدارها، ولا يقال للنمل والدعاميص، والجعلان، والارضة اذا طارت
من الطير، كذلك لا يقال للجرجس، والبعوض، واجناس الهمج انها من
الطير وضعا لاقدارها عن اقدار ما يسمى طيرا، والملائكة تطير ولا
يسمونها طيرا لرفع اقدارها عن الطير، وفي الرواية ان النبي صلى الله
عليه انشد قول امية بن ابي الصلت،

رجل وثور تحت رجل يمينه، والنسر للاخرى وليث مرصد،

فقال صدق، وقوله نسر يعني في صورة نسر، لان الملك لا يقال
له نسر، ولا صقر، ولا عقاب، ولا بازٍ، وذكروا غراب
نوح، وحمامة نوح، والهدهد، والنحل، والرماح، وما جاء من الاثر

في ذلك الديك الذي يكون في السماء • وقال الناس غراب
نوح وهدهد سليمن وحمامة نوح • وذووا في الخطاف • والصرد ذو الضوبه •
ولا نعرف شيئا من الحيوان اشرف اسماء من الخيل • والطير لانهم يقولون
فرس جواد • وفرس كريم • وفرس وسيم • وفرس عتيق • وفرس رايع • وقالوا
من الطير لذوات المخالب المعقفة • والمناسر المعقفة الحرار • ومضرجات •
وعتاق • وكواسب • وجوارح • وقال لبيد بن ربيعة •

فانتضلنا وابن سلمى قاعد • كعتيق الطير يغضي ويجل •

وقال الشاعر •

جرّ صنعاه لنحسن كفه • عمل الرفيقة واستلاب الاخرق •

ولولا انا قد ذكرنا شان الهدهد • والغراب • والنمل • وما ذكرها به
القرآن • والخصال التي فيها من المعارف • ومن القول والعمل لذكرناه في
هذا الموضع •

ما جاء في ذكر الطير •

قال الله جل ثناوه ورسولا الى بني اسرايل اني قد جيتكم
باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله • وقال الله واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طايرا باذني وتبري
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني • وقال
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طايرهم عند الله
ولكن اكثرهم لا يعلمون • وقال الله اما احدكما
فيسقي ربه خمرا • واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه •
وقال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في
تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل •
وقال الله وورث سليمن داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير ولم يذكر منطق البهايم والسباع والهمج والحشرات •
وقال الله فسلوهم ان كانوا ينطقون لا نلحقها بجد

المنطق بحد الروح والعقل والاستطاعة وقالوا الانسان هو الحي الناطق
وقال الله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله
موسى فقال فلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ثم قال وحشر لسليمن جنوده
من الجن والانس والطير ولم يذكر شيا من جميع الخلق وقد كان
الله قد سخر له جميع ذلك ثم قال وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغايبين ولم يتفقد شيا مما سخر له ولا دل سليمن على ملكه
بنبا الا طاير وقال الله ومن يشرك بالله فكانما خر
من السما فتخطفه الطير وقال الله وان من شي الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلما ذكر داود قال وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ولم يذكر شيا
مما يسبح غير الطير وقال الله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وقالوا

منطق الطير على التشبيه بمنطق الناس ثم قالوا بعد الصامت والناطق
ثم قالوا بعد للدار تنطق قال الله يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا
اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون
وقال الله واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وكان عبد الله بن
عباس يقول ليس يعني بقوله تكلمهم من الكلام وانما هو من الكلم
والجراح وجمع الكلم كلوم ولم يكن يجعله من المنطق بل
يجعله من الخطوط والوسم كالكتاب والعلامة اللذين يقومان
مقام الكلام والمنطق وقال الاخرون لا ندع ظاهر
اللفظ والعادة الدالة في ظاهر الكلام الى المجازات قالوا فقد
ذكر الله الدابة بالمنطق كما ذكروا في الحديث كلام الذيب
لاوس بن اهبان وقول الهدهد مسطور في الكتاب

بِأَطْوَلِ الأَقَاصِيصِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ الغُرَابِ • وَقَالَ اللهُ
وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَجَعَلَ اللهُ مَقَالَةَ النَّمْلَةِ قُرْآنًا • وَقَالَ وَمَا مِنْ
دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا
فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ • وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَلَحْمِ طَيْرٍ
مِمَّا يَشْتَهُونَ • وَقَالَ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ •
وَذَكَرَ المَلَائِكَةَ فَقَالَ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ • وَأَنْشَدُوا
النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • قَوْلَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ •

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ • وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ •

فَقَالَ صَدَقَ • وَطَوَّقَ اللهُ لِجَعْفَرٍ جَنَاحَيْنِ فِي الجَنَّةِ عِوَضًا مِنْ يَدَيْهِ
المَقْطُوعَتَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالُوا وَلَوْ كَانَتْ فِي الأَرْضِ يَدٌ تَفْضُلُ الجَنَاحَ
لَجَعَلَهَا اللهُ بَدَلَ الجَنَاحِ • وَسَمَّاهُ المُسْلِمُونَ الطَّيَّارَ • وَيُقَالُ
مَا هُوَ إِلَّا طَائِرٌ إِذَا أَرَادُوا مَدْحَ الإِنْسَانِ فِي السُّرْعَةِ •

وَقَالَ الفَرَزْدَقُ •

جَاؤُوا مَعَ الرِّيحِ أَوْ طَارُوا بِأَجْنِحَةٍ • وَحَلَّقُوا فِي جَوٍّ أَتَانَا سَيِّدَيْ مُضَرِ •

وَالأُمَمُ كُلُّهَا تَضْرِبُ المَثَلَ بِعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ • وَقَدْ جَاءَ فِي نَسْرِ لُقْمَانَ مَا قَدْ
جَاءَ مِنَ الآثَارِ وَالأَخْبَارِ • وَقَالَ الخَارِجِيُّ •

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ • قَدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ الأَبَدُ •
قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاخْتَضَبَ الدَّهْرُ وَأَثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُدُ •
يَا نَسْرَ لُقْمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ • تَسْحَبُ ذَيْلَ الحَيَاةِ يَا لُبَدُ •
قَدْ أَصْبَحَتْ دَارُ آدَمٍ خَرِبَتْ • وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّكَ الوَتِدُ •
تَسْأَلُ غِرْبَانَهَا إِذَا حَجَلَتْ • كَيْفَ يَكُونُ الصُّدَاعُ وَالرَّمَدُ •

وَقَالَ النَّابِغَةُ •

أَضْحَتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا • أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ •

وَقَالَ اللهُ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا لِأَنَّ ذَلِكَ الصَّنَمَ كَانَ
عَلَى صُورَةِ النَّسْرِ • وَقَالُوا أَعْمَارُ فَارِسَ • وَأَعْمَارُ الرَّايَاحِينِ وَأَعْمَارُ

البقول واحرار الطير وهي الاحرار والعتاق والكواسب والجوارح
والمضرجيات • وقال الله واذ قال ابرهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال
فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
ياتينك سعيا •

اسماء ما في النجوم والبروج

والفرس والناس وغير ذلك من اسماء الطير

ما يعد في الفرس من اسماء الطير الفراش وهو المنخر والذباب وهو
ذباب العين والصلصل وهو الدايرة في الجبهة والعصفور وهو الجلدة
تحت الناصية والحداة وهو اصل الاذن والهامة وهو الجلدة التي
فيها الدماغ والفرخ موضع الفهقة والناهضان في المنكبين
والصرد عرق تحت اللسان واليمامة الدايرة في عرض العنق والقطاة
موضع الردف والغرابان العظمان الناتيان بين الوركين ويقال

الغراب طرف الورك والساق ساق الفرس وهو ذكر الحمام والخطاف
موضع الركاب من جنبه والرخمة البضعة الناتية في ظهر الفخذ
والاصقع الابيض الناصية • وقال الله ولقد آتينا داود منا
فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد وفي السما النسر
الطاير والنسر الواقع وفي الاوثان القديمة وثن كان يسمى نسرا
ويزعمون انه كان على صورة نسر • وقال الله ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا •
وقال واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب وسخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له
اواب • وفي اسماء الناس غراب وصرد وفي اسماء النساء
فاختة وحمامة • وفي اسماء الناس ثمام ويمامة وسمامة وشاهين
وفي اسماء النساء عقاب وقطاة وقطية ودجاجة يكون للرجال
والنساء ويسمون عصفور ونقاز وجحاف ويسمون الرجال

بقطامي مثل ابو الشرقي بن القطامي الشاعر واذا كانت امراة قالوا قطام
مثل حذام   وقال امرؤ القيس بن حجر

وانا الذي عرفت معد فضله ونشدت حجرا وابن ام قطام

ويسمون بمضرحي وكبار الطير هي المضرحية واكثر ما يستعمل ذلك في
عتاق الطير واحرارها ويسمون بحر وليس الحر من الطير الا العتيق

وقال الشاعر

جر صنعناه ليحسن كفه عمل الرفيقة واستلاب الاخرق

ويسمون صعوة وسماني وسمانة ويسمون بجناح ويلقبون بمنقار
ويسمون بفرخ وفريخ وصقر وصقير وابي الصقر وطاووس وطويس
وفي الالقاب يويو وزرق وفي الاسماء حيقطان وهو الدراج
الذكر ويسمون بحذف وحذيفة وابي حذيفة وفي الالقاب
ابو الكرابي وفي الصفات الغرانيق والغرنوق

وقال امية بن ابي الصلت

فاسمع لسان الله كيف شكوله تعجب ويلبسك الذي تستشهد
والوحش والانعام كيف لغاتها والعلم يقسم بينهم ويبدد

وقال الله مخبرا عن سليمن انه قال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير وقال الشاعر

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال الشاعر

وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا

وقال الكميت

كالناطقات الصادقات الواسقات من الذخائر

قال ولكل جنس من اجناس الحيوان اخبار وتكسب
وروغان من الباغي عليه واحتيال لما اراد صيده فهو يحتال لما هو دونه
ويحتال في الامتناع مما فوقه ويختار الاماكن الحصينة لما حملته
والاستبدال بها اذا انكرها ولها منطق تتفاهم به حاجات بعضها

الى بعض ولا حاجة بها الى ان يكون في منطقها فضل لا تحتاج الى استعماله
وكذلك معانيها التي في مقادير منافعها ومضارها ولا حاجة بها الى اكثر من
مقادير معارفها التي هي مقادير حاجاتها. وقيل لرجل من الخطباء
متى عقلت قال ساعة ولدت فلما راى انكارهم لكلامه قال اما انا
فقد بكيت حين جعت وطلبت الثدي حين احتجت وسكت حين
اعطيت يقول هذه كانت مقادير حاجاتي ومن عرف حاجاته
اذا منعها واذا اعطيها فلا حاجة به في ذلك الوقت الى اكثر
من ذلك العقل ولذلك قال الاعرابي

سقى الله ارضا يعلم الضب انها بعيد من الآفات طيبة البقل
بنى بيته منها على راس كدية وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

فان قال قايل ليس ذلك بمنطق قيل له اما القرآن
فقد نطق بانه منطق والاشعار قد جعلته منطقا وكذلك كلام
العرب وان كنت انما اخرجته من حد البيان وزعمت انه ليس بمنطق
لانك لم تفهم عنه فانت ايضا لا تفهم كلام عامة الامم وانت وان
تمثلت كلامهم رطانة وطمطمة فانك لا تمتنع من ان تزعم ان ذلك
كلامهم ومنطقهم وعامة الامم ايضا لا يفهمون كلامك ومنطقك
فجائز لهم ايضا ان يخرجوا كلامك من البيان والمنطق وهل صار ذلك
الكلام منهم بيانا ومنطقا الا لتفاهمهم حاجة بعضهم الى بعض
ولان ذلك كان صوتا مؤلفا خرج من لسان وفم فهلا كانت
اصوات اجناس الحيوان الطير والوحش والبهايم بيانا ومنطقا اذ قد
علمت انها مقطعة مصورة ومؤلفة منظمة وبها تفاهموا الحاجات
وخرجت من فم ولسان فان كنت لا تفهم من ذلك الا البعض
فكذلك تلك الاجناس لا تفهم من كلامك الا البعض وتلك
الاقدار من الاصوات المؤلفة في نهاية حاجاتها والبيان عنها
وكذلك اصواتك المؤلفة في نهاية حاجاتك وبيانك وعلى انك
قد تعلم الطير الاصوات فتتعلم وكذلك تعلم الانسان

فيتعلم كتعليم الصبي والعجمي والفرق الذي بين الانسان
والطير ان ذلك المعنى منها يسمى منطقا وكلاما على التشبيه بالناس
وعلى السبب يجري والتكلم ذلك لهم على كل حال وكذلك الشاعر الذي
وصفها بالعقل انما قال ذلك على التشبيه فليس للشاعر اطلاق هذا الكلام
لها وليس لك ان تعماه ذلك من كل جهة فافهم فهمك الله
فان الله قد امرك بالتفكر والاعتبار وبالتعرف والاتعاظ وقد قال
الله مخبرا عن سليمن يا ايها الناس علمنا منطق الطير فجعل لها منطقا
وخص الله سليمن بان فهمه معاني ذلك المنطق واقامه فيه مقام
الطاير من الطاير وكذلك لو قال علمنا منطق البهايم والسباع لكان
ذلك اية وعلامة وقد علم الله اسمعيل منطق العرب بعد ان كان
ابن اربع عشرة سنة فلما كان ذلك على غير التلقين والتاديب
والاعتياد والترتيب والمنشا صار ذلك برهانا ودلالة واعجوبة
واية وقال عبد الله بن عباس وذكر عمر بن

الخطاب فقال كان كالطاير الحذر فشبه حزم عمر وتخوفه من
الخطا وحذره من الخدع بالطاير الحذر
وقال ابن مقبل

ولا اقوم على المولى فاشتمه ولا يخرقه نابي ولا ظفري
ولا تحميني الموماة ان لها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر

تجعلها متجاوبة وقال الطرماح بن حكيم وذكر تجاوب
الديكة كما ذكر ابن مقبل تجاوب الاصداء فقال

فيا صبح كمش غبر الليل مصعدا ببم ونبه ذا العفاء الموشح
اذا صاح لم يخذل وجاوب صوته حماش الشوى يصدحن من كل مصدح

وابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء قال خطب ابن الزبير خطبة فاعترض
له رجل فاداه بكلمة ثم طاطا الرجل راسه فقال ابن الزبير اين
المتكلم فلم يجبه فقال ماله قاتله الله ضبح ضبحة الثعلب
وقمع قمعة القنفذ

وقال ابن مقبل

ولا أبيع الحارات بالليل قابعا قبوع القرنبي أخلفته مجاحره

باب ما جاء في الشعر

لجناس الطير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة تسلح الحبارى على الصقر وذلك من أجود سلاحها
وهي تعلم أنها تدق جناحيه وتكتفه حتى تجتمع عليه الحبارات
فينتف ريشه طاقة طاقة فيموت الصقر والحبارى إذا تحسرت فأبطأ
نبت ريشها وهي لا تنهض بالشكير فربما طار صويحباتها إذ انفقد م
نبت ريشها قبل نبت ريش تلك الحبارى فعند ذلك تموت كمدا حتى
تموت كمدا ولذلك قال أبو الأسود الدؤلي

زيد ميت كمد الحبارى إذا طعنت مليحة أو يلم

وليس في الطير أسرع عطبا منها لأنها تصاد عندنا بظهر البصرة فيوجد
في حواصلها حبة الخضراء غضة طرية وبينها وبين مواضع ذلك الحب

بلاد وبلاد ولذلك قال بشر بن مروان في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد

كأن بني مروان إذ يقتلونه بغاث من الطير اجتمعن على صقر

والبغاث الطير ضعاف الطير وسفلتها من العظام الأبدان والخشاش
مثل ذلك لأنها من صغار الطير وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر

سألت الناس عن أنس فقالوا بأندلس وأندلس بعيد
كأني بعد شكن مضرحي أصاب جناحه عنت شديد
فقد طمعت عتاق الطير فيه وكانت عن عقيرته تحيد

وقال الذكواني

بغاث الطير تعرف قانصيها وكل مكبد منها الهبيد

يقول لكل جنس من الجوارح ضرب من الصيد وضرب من الطلب فالمصيد
منها يعرف ذلك فيجعل المهرب من الآخر ثم ذكر أنها تعرف الصائد
المقتل من الصحيح وهو معنى الخزيمي حيث يقول

ويعلم ما يأتي وإن كان طائرا ويعلم أقدار الجوارح والبغث

نعم البغاث

وليس قوله البغث يريد به جمع ابغث وقال الاول

بغاث الطير اكثرها فروخا وام الباز مقلاة نزور

وانشدني ابن بشير

وبالجد طورا ثم بالحس تارة كذاك جمع الناس في الجد والطلب

والجد مفتوح الجيم يقول الطير كالناس فمرة تصيد بالحظ وبما يتفق
لها ومرة بالحيلة والطلب وقال بشار بن برد

وبجده ينقلب العصفور

قال وقال زاهر لصبيانه يرزقكم الذي يرزق عصافير الدور
وقال صلح المري تغدو الطير خماصا وتروح بطانا
واثقه بان لها في كل غدوة رزقا لا يفوتها والذي نفسي بيده
ان لو غدوتم على اسواقكم على مثل اخلاصها لرجعتم وبطونكم
ابطن من بطون الحوامل
وقال اعشى همدان

قالت بغاثتي عرسي وتسألني اين الدراهم عنا والدنانير
فقلت انفقتها والله يخلفها والدهر ذو مرة عسر وميسور
ان يرزق الله اعدائي فقد رزقت من قبلهم في مراعيها الخنازير
قالت فرزقك رزق غير متسع وما لديك من الخيرات قطمير
وقد رضيت بان يحيا على رنق يوما فيوما كما يحيا العصافير

وانما خص العصافير بقلة الرزق لانها لا تتباعد في طلب الطعم والا
فان السباع ووحش الطير كلها تغدو خماصا وتروح بطانا
وقال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر

وقال

عصافير وذبان ودود واجرا من مجلحة الذئاب

ولولا ان تفسير هذا في باب القول في العصافير من كتاب الحيوان
لقلنا في ذلك

قد مر

باب ذكر اختلاف طبايع

الحيوان وما يعتريها من الاخلاق

الذيب لا يطمع فيه صاحبه فاذا دمي وثب عليه صاحبه فاكله واذا عض
الذيب شاة فافلتت منه بضرب من الضروب فان عادة الغنم اذا
وجدت ريح الدم ان تشم موضع انياب الذيب وليس عندها عند ذلك
الا ان تضم بعضها الى بعض ولذلك قال جرير لعمر بن لجا التيمي

فلا يضغمن الليث تيما بغرة وتيم يشمون الفريس المنيبا

فذكر انهم كالغنم في العجز والجبن واذا دمي الحمار
القى نفسه الى الارض وامتنع ممن يريده بالعض وربما قد تعليه
غير انه لا ينهض ولا يبرح مكانه واذا اصاب الاسد
خدش او شحطة بعد ان يدمي مكانه فان ذبان الاسد تلح
عليه ولا تقلع عنه ابدا حتى تقتله وللاسود ذبان على حدة
وكذلك الكلاب وكذلك الحمير وكذلك الابل وكذلك

الناس واذا دمي الانسان وشم الذيب منه ريح الدم فما اقل
من ينجو منه وان كان اشد الناس بدنا وقلبا واتمهم سلاحا وانقفهم
ثقافة واذا دمي النمر استكلب فخافه كل شي كان
يسالمه من كبار السباع كالاسود والنمور والببر على خلاف
جميع ما حكينا واذا اصاب الحية خدش فان الذر
مشهور
تطالبه اشد الطلب فلا يكاد ينجو ولا يعرف ذلك الا في الفرط
واذا عض الانسان الكلب فان الفار تطالبه ليبول عليه
غريب
وفيه هلكته فهو يحتال له بكل حيلة وربما اغد
البعير فلا يعرف ذلك الجمال حتى يرى الذبان تطالبه واذا
وضعت الذيبة جروها فانه يكون حينئذ ملتزق الاعضاء امعط
كانه قطعة لحم فتعلم الذيبة ان الذر تطالبه فلا تزال
رافعة له بيديها ومحولة له من مكان الى مكان حتى تفرج
الاعضاء ويشتد اللحم واذا وضعت الهرة جروها

فان طرحوا لها الحمام من ساعتها او ربيه او بعض ما يشبه ذلك فاكلته
لم تكد تاكل اجراها لان الهره يعتريها عند ذلك جوع وجنون
وخفه • والاجناس التي تحدث لها قوه على غير سبب
يعرف في تقدير الراي منها الذيب الضعيف الواثب على الذيب القوي
اذا راى عليه دما والهره اذا افسدها الهر فانها عند ذلك تشد
عليه وهي واثقه باستخذايه لها وفضل قوتها عليه • والجرذ
اذا خصي فانه ياكل الجرذان اكلا ذريعا ولا يقوم له شي منها
فاما الفيل والكركدن والجمل عند الاغتلام وطلب الضراب
فانها وان تركت الشرب والاكل الايام الكثيره فانه لا يقوم
لشي منها شي من ذلك الجنس وان كان قويا شابا اكلا شاربا
واما الغيران والغضبان والسكران والمعاين للحرب فهم يختلفون
في ذلك على علل قد ذكرناها في القول في فضيلة الملك على
الانسان والانسان على الجان فان اردته فالتمسه هناك • فان

لعادة الاحاديث الطوال والكلام الكثير تمامه في السماع
ويهجن الكتب •

باب يستدل به في جنس

الحيوان على حسن صنع الله واحكام تدبيره
وان الامور موزونه مقدره •

قالوا الاشياء البايضه طاير ومشترك وذو اربع ومنساح فمنها
ما يبيض في صدوع الصخر في اعالي الهضاب ومنها ما يعيش في الحجره
كبار الحيات • واما الدساس منها فانها تلد ولا تبيض وهي
لا ترضع ولا تلقم والخفاش يلد ولا يبيض وترضع وهذا مختلف
والدجاج والحجل والقطا واشباه ذلك من الدراريج وغيرها افاحيصها
في الارض والحمام منها طوراني وجبلي ومنها الوف واهلي •
فالجبلي يبيض في اوكار لها في مقاطع الجبال والاهلي منها
يبيض في البيوت والعصافير بيوتها في اصول اجذاع السقوف

والخطاطيف تتخذ بيوتها في باطن السقف في أوسع ذلك وأمنعه
والرخم لا ترضى من الجبال إلا بالوحشي منها ومن البعد إلا في
أسحقها وأبعدها من مواضع أعدائها ثم من الجبال في رؤوس
هضابها ثم من الهضاب في رؤوس صدوعها ولذلك يضرب المثل بامتناع
بيضها في المثل. فأما الرق والضفدع والسلحفاة والتمساح
وهذه الدواب المائية فإنها تبيض في الأرض وتحضن فأما
السراطين فإن لها بيوتا في عرض شقوق الأنهار والسواقي تمتلئ
مرة ماء وتخلو مرة ومن الحيوان ما لا يحضن كالضبة لا تجثم
على بيضها ولكنها تغطيها بالتراب وتنتظر أيام انصداعها فإذا كان
موضع الفراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة وإذا كان
من الطير الذي يهيئ ذلك المجثم من العيدان والريش والحشيش
فهو عش وإذا كان من الظليم فهو أدحي ذكر ذلك أبو عبيدة
والأصمعي وكلها وكون ووكور ووكنات ووكرات

فالذي يبيض الكثير من البيض الذي لا يجوزه شيء في الكثرة السمك
ثم الجراد ثم العقارب ثم الضبة لأن السمكة لا تزق ولا تلقم
ولا تلحم ولا تحضن ولا ترضع فحين كانت كذلك كثر الله
ذرءها وعدد نسلها وكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذي
يزاوج أصناف الحمام ومثل العصافير والنعام فإنها تزاوج فأما الحمام
فلما جعله الله يزق ويحضن ويحتاج إلى ما يغتذيه ويغذو ولده
ويحتاج إلى الزق وهو ضرب من القيء وفيه عليها وهن وشدة
ولذلك لا يرجل إذا كان زاقا فلما أن كانت كذلك لم يحمل
عليها أكثر من بيضتين وفرخين ولما كانت الدجاجة تحضن
ولا تزق وهي تأكل الحب وكل ما دب ودرج زاد الله في
بيضها وفي عدد فراريجها ولم يجعل ذلك في عدد أولاد السمك
والعقارب والضباب التي لا تحضن البتة ولا تزق ولا تلقم ولما
جعل الله أولاد الضبة لها معاشا زاد في عدد بيضها وفراخها

وصار ما سلم منه كثير الغير متجاوز للقدر. وكذلك الظليم لما
كان لا يزق ولا يحضن اتسع عليه مطلب الرزق من الحبوب
واصول الاشجار. وجعلها تبيض ثلثين بيضة واكثر.

وقال ذو الرمة.

اذاك ام خاضب بالسي مرتعه ابو ثلثين امسى فهو منقلب.

وبيضها كبار. وليس في طاقتها ان تشتمل وتحتضن الا على القليل
منها. وكذلك الحية تضع ثلثين بيضة. ولها ثلثون ضلعا. وبعضها
واضلاعها في عدد ايام الشهر. ولذلك قويت اضلاعها لكثرة عدد
الاضلاع. وحمل عليها في الحضن بعض الحمل اذ كانت لا ترضع.
والطاير الذي يلقم فرخه تكون اقوى من الطاير الزاق. وكذلك
من البهايم المرضعة. ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والارضة.
اذا طارت وتاكل الحب واللحم. وكانت مع هذا تلقم لم يكن
لها من البيض ككثير الدجاج ولم يقل كتقليل الحمام والعصافير

فيها ازواج. وكذلك النعام. وليس في شي من ذوات الاربع ازواج وانما
الازواج في اللاتي تمشي على رجلين كالانسان والطير والنعام. وليس
هو في الطير بالعام. وهو في الحمام. واصناف الحمام من هذه المغنيات
والنوائح عام. وسبيل الحجل والقبج سبيل الديكة والدجاج.
والدجاجة تمكن كل ديك. والديك يثب على كل دجاجة. وربما
غبر الحمام الذكر حياته لا يقمط الا انثاه. وكذلك الانثى لا
تدع زوجها ما امكنت. وفي الحمام من هذا الباب من
الاختلاف مثل ما في النساء والرجال. فاما الشفنين فانه
لا يقمط غير انثاه وان هلكت الانثى لم يزاوج ابدا. وكذلك
الانثى. فاما العلة في وضع القطا بيضها افرادا وخروج البيضة من
جهة اوسع الراسين واستدارة بيض الزق واستطالة بيض
الحيات وما يكون منها ارقط واخضر واصفر وابيض واكدر
واسود فاني لم ارض لهم في ذلك جوابا فاحكيه لك. قالوا

وانما يعظم البيض على قدر جثة البائضة وبيض الابكار اصغر فاما كثرة
العدد فيقال انه كلما كان اكثر سفادا من الاجناس كثيرة هو
اقل بيضا منها. والجراد والنمل لا تحضن ولا تزق ولا ترضع
ولا تلقم فحين جعل الفراخ كثيرة العدد وكانت الامهات
والآباء عاجزة عنها لم يجعلها محتاجة الى الامهات فتعم هذا التدبير
اللطيف والحكمة البالغة. قالوا الاقل في ذلك البازي
والاكثر في ذلك النمل قال الشاعر

بغاث الطير اكثرها فراخا وام البار مقلات نزور.

وقال صاحب الاسد اقل لانه يخرج الرحم فيعتقم. قالوا [المنطق نسل]
والفيلة تضع في سبع سنين واقل الخلق عددا ذر الكركدن
لان الانثى تكون نزورا وايام حملها كثيرة جدا وهي من الحيوان
التي لا تلد الا واحدا وكذلك عظام الحيوان وهي مع ذلك تاكل
ولدها ولا تكاد تسلم منها الا القليل لان الولد يخرج قليلا نابت

الاسنان والقرن شديد الحافر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى انبيائه
عامة ونسأله التأييد والعصمة ونعوذ به من كل سبب جانب الطاعة
ودعا الى المعصية انه قريب مجيب فعال لما يريد.
قد قلنا في اول هذا الجزء وهو الجزء الرابع من القول في الحيوان
في اجناس اجناسها المجبولة فيها وفي معارفها المطبوعة عليها وفي
اعاجيب ما ركبت عليه من الدفع عن انفسها والتقدم فيما يحييها
وفي تحصينها عواقب امورها وكل ما خوفت من حوادث المكروه
عليها بقدر ما ينوبها من الآفات وبعضها من الحاجات وانما تدرك
ذلك بالطبع من غير روية وبحس النفس من غير فكرة ولعبرة

معتبر ويفكر مفكر ولينفي عن نفسه العجب وليعرف مقداره
من العجز ونهاية قوته ومبلغ نفاذ بصره وانه مخلوق مدبر ومصرف
ميسر وان الاعجم من اجناس الحيوان والاخرس من تلك الاشكال
يبلغ في تدبير معيشته ومصلحة شانه وفي كل ما هو بسبيله ما لا يبلغه
ذو الروية التامة والمنطق البليغ وان منها ما يكون الطف مدخلا
وادق مسلكا واصنع كفا واجود حنجرة واطبع على الاصوات
الموزونة واقوم في حفظ ما يعيشه طريقة الا ان ذلك فيها مفرق
غير مجموع ومنقطع غير منظوم والانسان ذو العقل والاستطاعة
والتصرف والروية اذا علم علما غامضا وادرك معنى خفيا لم يكد
يمتنع عليه ما هو دون ذلك اذا قاس بعض امره على بعض واجناس
الحيوان قد يعلم بعضها علما ويصنع بكفه صنعة يفوق بها الانسان
ولا يهتدي الى ما هو دون ذلك بطبع ولا روية وعلى ان الذي
عجز عنه في تقدير العقول دون الذي قوي عليه

وانا ذاكر ان شا الله ما في الفيلة من عجيب التركيب وغريب
التاليف والمعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها التثقيف
والتاديب وسرعتها الى التلقين والتقويم وما في ابدانها من الاعضا
الكريمة والاجزا الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها
وبكم فضلت اجناس الحيوان وفاقت تلك الاجناس وما جعل الله فيها
من الايات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها العيون خلقه
وعرف بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم لتكثر
لهم من الادلة وتزيدهم في وضوح الحجة وتسخرهم لتمام النعمة
والتي ذكرها الله به في الكتاب الناطق والخبر الصادق وفي
الاثار المعروفة والامثال المضروبة والتجارب الصحيحة وما قالت
فيها الشعرا ونطقت به الخطبا ومرتبه العلما وعجبت منه
الحكما وحالها عند الملوك وموقع نفعها في الحروب ومهابتها
في العيون وجلالتها في الصدور وفي طول اعمارها وقوة ابدانها

وفي اعتزامهما وتصميمهما واحقادها وشدة اكتراثهما وطلبهما بطوائلهما
وارتفاعهما عن ملك السقاط والحشوة وعن اقتناء الانذال
والسفلة وعن انتخاصهما في الثمن وعن ارتخاصهما على الخسف وابتذالهما
واذلالهما وعن امتناع طبايعهما وتمنع غرايزهما ان تصلح ابدانهما وتنبت
انيابهما وتعظم جوارحهما وتتسافد وتتلاقح الا في معادنهما وفي
بلادها وفي مناشيهما ومغارس اعراقهما مع التماس الملوك ذلك منهما
وطمع القوام عليهما بالتقرب بذلك منهما حتى اعجزت الحيل وخرجت من
حد الطمع وعن الاخبار عن حملها ووضعها ومواضع اغضابها
والذي خالفت فيه الاشكال الاربعة التي تحيط بالجميع مما ينساح او يعوم
او يمشي او يطير وجميع ما ينتقل عن اولية خلقه وما يبقى على
الطابع الاول من صورته وعن ما ينازعه من شبه الحيوان وما
يخالف فيه جميع الحيوان وعن القول في شدة قلبه واسره وفي
جرانه على ما هو اعظم بدنا واشد كلبا واحد اظفارا واذرب

انيابا فمنه ما هو اصغر جرما واهكل جلدا واضعف بشرا واخمل
ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة واموره المحمودة وعن
القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله
ونجوه وعن لسانه وفمه وعن اذنه وعينه وعن خرطومه وغرموله
وعن مقاتله ومواضع سلاحه وعن ادوائه ودوائه وعن القول
في انيابه وساير اسنانه وعظامه وفرق ما بين عظامه وعظام غيره
وعن مواضع عجزه وقوته والقول في البانها وضروعها
وعدد اخلافها واماكن ذلك منها وعن سباحتها ومشيها وحضرها
وسرعتها وخفتها ووطيها ولين ظهورها والتذاذ راكبها وعن ثبات
خفها في الوحل والرمل وفي الجدد والصعداء وعن امن
راكبها من العثار وكيف حالها عند اهتياجها واغتلامها وعند
سكونها وانقضاء ايام ذلك منها وعن حدايتها وطربها وطاعتها
لسواسها وفهمها لما يراد منها وكيف جهة نظرها والفهم الذي

يرى في طرفيها مع الوقار والنبل والاطراق والسكون ولم تجتمع

الملوك عربها وعجمها واسودها واحمرها على اتخاذها والتزين بها

والفخر بكثرة ما يتهيأ لهم منها حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا

واشرف الالطاف وحتى صار اتخاذها مروة وعتادا وعدة ودليلا

على ان مقتنيها صاحب حرب وفي تفضيل خصال الحمير على خصال البعير

وفي اي مكان يكون انفع في الحرب من الفرس واصبر عند العراك

من النمر واقتل للاسد من الجاموس واكل من الببر اذا انعزم

واشد من الكركدن اذا اغتلم حتى لا يبلغه مقدار ما يكون

من خيل النيل وتماسيح الخلجان وعقبان الهواء واسد الغياض

وقد جمع هرون مولى الازد الذي كان يرد على الكميت ويفخر بقحطان

وكان شاعرا امل المولتان ولا اعرف من شانه اكثر من اسمه

وصنعته وقد قال في صفات الفيل اشعارا ذكر فيها كثيرا مما

قدمنا ذكره وهو قوله

اليس عجيبا بان نلقه له فطن الانس في جرم فيل

وانشدني هذا البيت صفوان بن صفوان الانصاري وكان من زوار

داود بن يزيد

اليس عجيبا بان نلقه غليظ الرواء لطيف الحويل

واطرف من فيه ذوله يحلم بجل عن الخنشليل

واوقص مختلف خلقه طويل النيوب قصير النصيل

ويلقي العدو بناب عظيم وجوف رحيب وصوت ضئيل

واشبه شي اذا قسته بخنزير بر وجاموس غيل

تنازعه كل ذي اربع فما في الانام له من عديل

ويخضع لليث ليث العرين بان ناسب الهر من راس ميل

ويعصف بالببر بعد النمور كما تعصف الريح بالعندبيل

وشخص يرى بدء انفه فان وصلوه بسيف صقيل

واقبل كالطود هادي الخميس بهول شديد امام الرعيل

ومن يسل كسل الاني بخطو خفيف وجرم ثقيل

فان سمنه زاد في هوله شنلعه اذنين في راس غول

وقد كنت اعددت من آله طبل النهب للزنديل

فلما احس به في العجاج اتانا الاله بفتح جميل

وطار وراغم فياله بقلب نخيب وجسم نبيل

فسبحان خالقه وحده اله الانام ورب الفيول

ذكر صفوان بن صفوان ان هرون هذا اخبا معه هرا تحت حضنه

ومشي بسيفه الي الفيل وفي خرطومه السيف والفيالون يذمرونه فلما

دنا منه رمي بالهر في وجهه فادبر هاربا وتيبا قط من فوقه وكبه

المسلمون وكان ذلك سبب الهزيمة فذكر الهر في هذا الشعر

كما كتبته لك اما قوله يجلم يجل عن الخنشليل

فقد قال الانصاري في صفة النخل

تليص العشاء باذنابها وفي مدر الارض عنها فضول

ويشبعها المص مص الثري اذا جاعت الشاه والخنشليل

وهذا غير قوله

قد علمت جارية عطبول اني بنصل السيف خنشليل

واما العندبيل فهو طاير صغير جدا ولذلك قال الشاعر

وما كان يوم الزنج اول طاير يروغ روغ العندبيل الي الوكر

لان الزنج تخصف به من صغره فهو يعرف ذلك من نفسه فاذا فوتت الزنج

دخل جحره ويقولون عندليب وعندبيل وكل صواب ولذلك قال

هرون

ويعصف بالببر بعد النمور كما تعصف الزنج بالعندبيل

وسنخبر عن تفسيرها في هذه القصيدة مفرقا اذ لم نقدر عليه مجموعا

متصلا ولو امكن ذلك لكان احسن للكتاب واصح لمعناه وافهم

لمن قراه ذكر بعض الفيالين ان الفيلة تضع لسبع

سنين ولذا مستوي الاسنان وانهم يرصدون ذلك الوقت من الوحشية

منها ويحتالون في أخذ الولد وأن ذلك الولد يعيش في أيديهم ما بين

في عمر الفيل

الثمانين سنة الى المائة وأن عمر الوحشية أطول وأن كل شيء عندهم
منها اليوم بالعسكر اناث وأن الموت بالعراق الى الذكورة أسرع وأن
نابه لا يطول عندنا وانهم يعملون من جلودها ترسة أجود من متاع الجواميس
ومن الخيزران ومن الدرق والحجف المتخذة من جلود الابل ومن
هذه المعقبة المطلية ومن جميع ما يؤلف من انواع الخشب والجلود التي
قد أطيل انقاعها في اللبن ومن كل تبتي وصيني وذكر أن لها
مروجا وأن المروج أصلح لها من القرى ومواضعها مع الوحش أصلح لها
من المروج ❊ وذكر رسولي الى شاشها انه اتبعها الى دجلة

من ادراك الحيوان بعض الالفاظ

وأن بعض الغوغاء صاح بها يا حجام بابك وهذا الكلام اليوم ظاهر
على ألسنة الجهال وأن فيلا منها ركله برجله ركلة صك لها
الحائط حتى خيف عليه منها وأنه رأى فيها الانكار لذلك القول
وأن الفيل كان يحتشها على الانتقام لما صاح بها ❊ واذا عرف

الكلب اسمه وكذلك السنور وكذلك الشاة والفرس والطفل
والمجنون المصمت الجنون وعرفت الناقة هل ما بين حل وجاه وعرف
الحمار الصوت الذي يلتمس به وقوفه والذي يلتمس به سيره وعرف الكلب
مخاطبة الكلاب والببغاء مناغاة المكلم له فجائز أن يكون الفيل
بفضل فطنته أن يفهم عن الفيال اضعاف ذلك فاذا أمره بضرب انسان
عند ضرب من الكلام استعاد ذلك واذا أمره لم ينكر أن يعرفه على
طول الترداد ❊ قالوا اذا احتملت المرأة شيئا من نجو الفيل

نجو الفيل يمنع الحبل

بعد أن يخلط به شيء من عسل فانها لا تحبل أبدا قالوا ومما يؤكد
ذلك أنك لو علقت على شجرة من نجوه شيئا أن تلك الشجرة لا تحمل في
تلك السنة ❊ قالوا وزواني البد بالهند يفعلن ذلك استبقاء
للطراء والشباب ولانها اذا كانت موقوفة على جميع الاجناس من
الرجال كانت أسرع الى الحبل لانها لا تعدم موافقا لطبعها واذا حبلت
وارضعت مرارا تبلت وليس هذا بعجب لانهم يزعمون أن صاحب الحصاة

علاج صاحب الحصاة

اذا اخذ روث الحمار حين يروثه حارًا فعصره وشرب ماءه انه كثيرًا
مما يبول تلك الحصاة ۞ وفي ماء روث الحمار ايضًا دواء للضرس
الماكول ۞ وقال الاصمعي سالت بعض الاكلة ممن
كان يقدم على ميسرة التراس كيف تصنع اذا جهدتك الكظة ۞
والعرب تقول اذا كنت بطنًا فعدّ ل زمنًا قال آخذ روثًا حارًا
فاعصره ثم اشرب ماءه فاختلف عنه مرارًا فلا البث ان يلحق بطني بصلبي
فاشتهي الطعام ۞ والمراة من نسائنا اليوم اذا استحيضت استفت
مثقالًا من اثمد لانها عند من اذا فعلت ذلك لم تلد ۞ وانا رايت
امراة قد فعلت ذلك ثم ولدت ۞ وخرء الكلب اذا كان
ابيض العين وكان عن اكل الكلب العظام دون اللحم ۞ فهو
عجب لصاحب الذبحة ۞ وكذلك رجيع الانسان ۞ وخرء الفار
يكون شيافًا للصبيان يحملونه اذا استرخي بطن احدهم ۞ فان كان
من خرء الجرذان وكان عظيمًا كان الواحد منه هو الشياف

ويصلح ايضًا خرء الفار لداء الثعلب وهو القرع الذي يعرض لشعر الراس ۞
وخرء الحمام الاحمر ايضًا من المبولات للرمل والحصي يقشر منه وزن
درهم مع مثله دار صيني ۞ ومما قراه الناس من الامثال في الكتب
في شان الفيل التي وجدوها في كتاب كليلة ودمنة ۞ فمن ذلك
قوله اولا تري ان الكلب يبصبص بذنبه مرارًا حتي تلقي له الكسرة ۞
وان الفيل المغتلم يعرف قوته وفضله فاذا قدم اليه علفه مكرمًا
لم ياكل حتي يمسح ويتملق ۞ قال وقيل في اعمال ثلثة ۞
لا يستطيعها احد الا بمعونة من ارتفاع همة ۞ وعظم خطر منها عمل
السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو ۞
وقالت العلماء في الرجل الفاضل انه لا ينبغي ان يري الا في
مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرمًا ۞ واما مع
النساك متبتلا كالفيل الذي انما بهاؤه وجماله في مكانين اما في برية
وحشيًا ۞ واما مركبًا للملوك ۞ قال وقد قيل في اشياء ثلثة ۞

فضل ما بينهما متفاوت فضل المقاتل على المقاتل وفضل الفيل على الفيل
وفضل العالم على العالم ۞ وقال في كلام آخر فان لم تنجع
الحيلة فهو اذا القدر الذي لا يدفع فان القدر هو الذي يسلب الاسد
قوته حتى يدخله التابوت وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر
الفيل المغتلم وهو الذي يسلط الحواء على الحية ذات الحمة فينزع
حمتها ويلعب بها ۞ قالوا ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي
يغنيه وطمحت عيناه الى ما فوق ذلك ولم ينظر الى ما يتخوف امامه
كان مثله مثل الذباب الذي لم يرض بالشجر والرياحين حتى يطلب
الماء الذي يسيل من اذن الفيل المغتلم فيضربه باذنه فيهلك ۞
وقال فاقام الجمل مع الاسد حتى اذا كان ذات يوم
توجه الاسد نحو الصيد فلقيه فيل فقاتله قتالا شديدا فانفلت
الاسد مثبتا مثقلا يسيل دما قد جرحه الفيل بانيابه فكان لا
يستطيع ان يطلب صيدا فلبث الذيب والغراب وابن آوى اياما لا يجدون

شيا يعيشون به من فضول الاسد ۞ وقال وكيف يرجوا
اخوانك عندك وفاء وكرما وانت قد صنعت بملكك الذي كرمك
وشرفك ما صنعت بل مثلك في ذلك كما قال التاجر ان ارضا تاكل
جرذانها مايه منا حديد غير مستنكر ان تخطف بزاتها الفيلة ۞
قال وقال الجرذ للغراب اشد العداوة عداوة الجوهر وعداوة
الجوهر منها عداوة متجارية كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل
الاسد الفيل وربما قتل الفيل الاسد ومنها عداوة انما ضرها من احد
الجانبين على الآخر كعداوة ما بيني وبين السنور فان العداوة
بيننا ليس لضرر مني عليه ولكن لضرر منه علي ۞ وقال
ان الكريم اذا عثر لم يستقل الا بالكرام كالفيل اذا وحل
لم يستخرجه الا الفيلة ۞ وسنذكر عداوة الشيطان
للانسان والانسان للشيطان وهما عدوان مختلفان وعداوة
الله للكافر وعداوة الكافر لله وهاتان العداوتان غير

ثابت وهما في انفسهما مختلفتان وهما والتي قبلهما مخالفة لعداوة
العقرب للانسان وعداوة العقرب مخالفة لعداوة الحية وعداوة
الانسان لهما مخالفة لعداوة كل واحد منهما للانسان وعداوة
الذيب والاسد والانسان خلاف عداوة العقرب والحية وعداوة
النمر للاسد والاسد للنمر مخالفة لجميع ما وصفنا ومسالمة الببر للاسد
غير مسالمة الخنفساء والعقرب وشان الحيات والوزغ خلاف
شان الخنافس والعقارب وعداوة الانسان للانسان خلاف ذلك
كله • وابن عرس اشد عداوة للجرذان من السنور وعداوة
البعير للبعير والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد
وعداوة الذيب للذيب خلاف ذلك والشاة من الذيب اشد فرقا
منها من الاسد والنمر والببر وهي اقوى عليها من الذيب وفرق
الدجاج من ابن آوى اشد من فرقها من الثعلب والحمام اشد فرقا من
الشاهين منه من الصقر والبازي • واسباب عداوات

سبب العداوة

الناس ضروب منها المشاكلة في الصناعة • ومنها التقارب في
الجوار • ومنها التقارب في النسب والكثرة من اسباب التقاطع
في العشيرة والقبيلة والساكن عدو للمسكن والفقير عدو
للغني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل والخصي وبغضاء
السوقة موصولة بالملوك وكذلك المعتق عن دبر والموصى له
بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث وجميع هذا كله تفسيره
ولكنه يطول • وذكر صاحب المنطق عداوة الغراب
للحمار والنحويون ينشدون في ذلك قول الشاعر •

عاديتني لا زلت في تباب • عداوة الحمار للغراب

ولا ادري من اين وقع هذا اليهم • وذكر ايضا عداوة البوم
والغداف وكذلك عداوة عصفور الشوك للحمار وفي هذا كلام
كثير قد ذكرنا بعضه في اول كتابنا هذا من كتاب الحيوان •
ثم رجعنا الى الاخبار عن الامثال • قالوا واكيس الاقوام من

يمكن ان نادره حق
بعض اهل العصر ١٢

يلتمس الأمر بالقتال ما وجد عن القتال مذهبًا فإنّ القتال إنما النفقة
فيه من الأنفس وسائر الأشياء إنما النفقة فيها من الأموال فلا يكوننّ
قتال البوم من رأيك فإنّ من براكل الفيل براكل الجبن قال
وقال فأجابه الجرذ فقال إنه ربّ عداوة باطنة ظاهرها صداقة
وهي أشدّ ضررًا من عداوة الظاهر ومن لم يحترس منهما وقع موقع
الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس
قال فاعلم أنّ كثيرًا من العدوّ لا يستطاع بالشدّة والمكابرة
حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الأهلي
وقال فإنّ العشب كما قد رأيت في اللين والضعف وقد يجمع
منه الكثير فيصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل المغتلم
قال وقالوا نريد أحبّ بنيك إليك وأكرمهم عليك ونريد
كال الكاتب صاحب سرّك والسيف الذي لا يوجد مثله والفيل
الأبيض الذي لا تلحقه الخيل الذي هو مركبك في القتال ونريد

الفيلين العظيمين اللذان يكونان مع الذكر وقد سمعنا في
الحديث والأخبار عن أيام القادسية ويوم جسر مهران وقسّ
الناطف وجلولاء ويوم نهاوند بالفيل الأبقع والفيل الأسود والفيل
الأبيض والناس لم يروا بالعراق فيلًا أو برًّا ولا فيلًا أشعر والفيلة
التي كانت مع الفرس حلمها حكم الفيلة التي كانت عند أمير المؤمنين
المنصور وعند سائر الخلفاء من بعده وكلها جرد معضنة ولم نلق
أحدًا رآها وحشية قبل أن تصير في القرى والمواضع التي نذكرها وقد علمنا
أنّ الطائر الصيود من الجوارح لو أقام في بلاده ما بقي عامًا لم تحدث لمنسره
زوائد وغير الكانه إذا أقام في غير بلاده احتاج إلى الأخذ من حافره
وإلى أن يختلف به إلى البيطار والطائر الوحشي من هذه المغنيات
والنوائح لو أقام عندنا دهرًا لم يصوّت إذا أخذناه وقد ذكرت وكذلك
المزاوجة والتعشيش والتفريخ قال وكل ملك
كان يميل إلى أن تكون عنده فيلة فإنه كان لا يدع الاستكثار

منها والتجمل بها والتهويل بمكانها عنده ولا يدع ركوبها في الحروب

وفي الأعياد وفي يوم الزينة . وقد كانت حمير والتبابعة

والمقاول والعباهلة من ملوكهم والنجاشي من ملوك الحبشة وعند

ملوك سبأ مقربة مكرمة يدل على ذلك الأشعار المعروفة

والأخبار الصحيحة . ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرب

وملك سبأ وسيل العرم فقال

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قفى عليه العرم

رخام بنته له حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم

فأروى الحروث وأعنابها على ساعة ماؤهم قد قسم

وطار القيول وقيالها بتيهاء فيها سراب يطم

فكانوا بذلكم حقبة فمال بهم جارف منهدم

فطاروا سراعا وما يقدرون منه لشرب صبي فطم

كان الأقيبل القيني مع الحجاج يقاتل ابن الزبير فلما رأى البيت يرمى

بالمنجنيق أنشأ يقول

ولم أر جيشا غر بالحج قبلنا ولم أر جيشا مثلهم كلهم خرس

دلفنا لبيت الله نرمي ستوره بأحجارنا نهب الولائد في العرس

دلفنا لهم يوم الثلاثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس له رأس

فلما فرغ وعاذ بقية مروان وكتب له عبد الملك إلى الحجاج كتابا أخبره

فيه وفوض الأمر إليه قال

وقد علمت لو أن العلم ينفعني أن انطلاقي إلى الحجاج تغرير

مستحقبا صحفا تدمى طوابعها وفي الصحائف حيات مناكير

لئن رحلت إلى الحجاج معتذرا إني لأحمق من تحدى به العير

كل حيوان في الأرض ذو لسان فأصل لسانه إلى داخل وطرفه إلى

خارج إلا الفيل فإن طرف لسانه إلى داخل وأصله إلى خارج

وتقول الهند لولا أن لسان الفيل مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم وكل

سمك يكون في الماء العذب فإن له لسانا ودماغا إلا ما كان منها

فى الماء المالح فانه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ وكل شي ياكل بالمضغ دون الابتلاع فانه انما يحرك فكه الاسفل الا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى وكل ذي عين من ذوات الاربع من السباع والبهائم الوحشية والاهلية فانما الاشفار لجفونها الاعالي الا الانسان فان الاشفار للاعالي والاسافل وكل حيوان ذي صدر فانه ضيق الصدر الا الانسان فانه واسع الصدر وليس لشي من ذكورة جميع الحيوان وانما ثدي في صدره الا الانسان والفيل

وقال ابن مقبل

وليلة مثل ظهر الفيل غبرها طلس النجوم اذا اغبر الدياميم

الفيل اضخم الحيوان وهو مع ضخمه املح واظرف واحلى واظرف وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم رشيق الصنعة واما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرد والدب والشاة المكية وليس عند الببغا الا حكاية صور الاصوات فهو مع غلظه وضخمه

وقامته ارشق مذهبا وادق طرفا واظهر طربا وهذا من اعجب العجب

وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابيه اكثر من ثلث مائة منا فقال من يعارضهم قد اجمعوا على ان اعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان وحكوا عن عظم بعض الحيات حتى الحقوه بهما واكثروا في تعظيم شان التنين فليس لكم ان تدعوا في الفيل ما ادعيتم

قال صاحب الهند والمعتبر عن خصال الفيل اما الفيل مع علو سمكه وعظم جفرته واتساع صهوته وطول خرطومه وسعة اذنه وكبر غرموله مع خفة وطئه وطول عمره وثقل حمله وقلة اكترائه لما وضع على ظهره فقد عاين ذلك من الجماعات ما لا يستطيع الرد عليهم الا جاهل او معاند

واما ما ادعيتم من عظم الحية وانا متى سمعنا طولها وثخنها واخذنا وزنها كانت اكثر من الفيل فانا لم نسمع هذا الا في احاديث الرقائين واكاذيب الحوائين وتزيد

ان اعظم حيوان كان السمك

التنين

وأما التنين فإنما سبيل الإيمان به سبيل الإيمان
بعنقاء مغرب وما رأيت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين إلا وهم يرونه
ويكذبون المخبر عنه إلا أنا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم
أن التنين إعصار فيه نار يخرج من قبل بحار البحر في بعض الزمان
فلا يمر بشيء إلا أحرقه فسمى ذلك ناس التنين ثم جعلوه في صورة
حية.

السرطان

وأما السرطان فلم نر أحدا قط ذكر أنه عاينه
وإن كنا إلى قول بعض البحريين نرجع فقد زعم هؤلاء أنهم قربوا
إلى بعض الجزائر وفيها الغياض والأودية والأخاقيق وأنهم في بعض
ذلك أوقدوا نارا عظيمة فلما وصلت إلى ظهر السرطان لكنه ماج
بهم وبكل ما عليه من النبات حتى لم ينج منهم إلا الشريد وهذا
الحديث قد طم على الخرافات والترهات وحديث الخلق.
وأما السمك فلعمري إن السمكة التي يقال لها البال لفاحشة العظم
وقد عاينوا ذلك عيانا وقتلوه يقينا ولكن أحسبوا أن للبال في

البال على ما ذكرتم فهل علمتم أن فيه من الحس والمعرفة واللقن
والحكاية والطرب وحسن المواتاة وشدة القتال والتمهد تحت
الملوك وغير ذلك من الخصال فيه كما وجدنا ذلك وأكثر منه
في الفيل وهل رغبت في صيده الملوك أو احتالت له التجار أو تمنى
الظفر بأجزائه بعض الأطباء وهل يصلح لدواء أو غذاء أو لبس المغانية
البحريين أن يسلموا من عبثه أن هجموا عليه نائما أو غافلا حتى ينفر ويفزع
وينبه بقرع العصي واصطكاك الخشب. وأما ما قدمنا من خصال
الفيل على خصال الحيوان التي في كفه ومنقاره الصنعة العجيبة أو يكون
فيه من طرف المعرفة وغريب الحس وثقوب البصر أو بعض ما فيه من الكمال
والحسن ومن القنافذ ومن الخشاشين والوشي والتلاوين والتأليف
العجيب والتنضيد الغريب أو بعض ما في حنجرته من الأصوات الملحنة
والمخارج الموزونة والأغاني الداخلة في الإيقاع الخارجة من
سبيل الخطأ مما يجمع الطرب والشجا وما يفوق النوائح ويرق

كل مغن حتى يضرب بحسن تغريده وصفا صوته وشجا مخرجه المثل
حتى يشبه به صوت المزمار والوتر واما بعض ما يعرف بالمكر
والختل وبالكيس والروغان وبالفطنة والخديعة والرفق
والتكسب والعلم بما يعيشه والحذر مما يعطبه وتأتيه لذلك
وحذقه به واما بعض ما يكون في طريق الثقافة يوم الثقاف
والبصر بالمشاولة والصبر على المطاولة والعزم والروغان والكر
والجمزان ووضع تلك التدابير في مواضعها حتى لا تطيش له طعنه
ولا تخطي له وثبه   واما بعض ما يعرف بالنظر في العاقبة
وباحكام شان المعيشة والاخذ لنفسه بالثقة وبالتقدم في حال
المهلة والادخار ليوم الحاجة والاجناس التي تدخر لانفسها ليوم
العجز عن الطلب والتكسب فمثل الذرة والنملة والجرذ والفارة
كنحو العنكبوت والنحل واذا كان ليس للبدن الا عظمه وان
كان العظم قد يدخل في باب من ابواب المفاخرة فلا ينبغي لاحد ان

يتباهى به الابدان التي لها الخصال الشريفة ويتفاضل به ذوات المفاخر
العظيمة فما ظنك ببدن قد جمع مع العظم من الخصال الشريفة ما يغني
الطوامير الكثيرة ويستغرق الاجلاد الواسعة

وقد علمنا ان من جهل هذه السمكة بما يعيشها ويصلحها انها شديدة الطلب
والشهوة لاكل العنبر والعنبر اقتل للبال من الدفلى للدواب
فاما اذا اصابوه ميتا استخرجوا من جوفه عنبرا فاسدا وما فيه من التلبيع
الا ان دهنه يصلح لتمرين سفن البحر فسمعني غانم العبد يوما وانا
احكي هذا الكلام وكان من اموق الناس وارفعهم رقاعة مع
تيه وتسخط على الناس فزعم انه هندي وهو يتعصب على الفيل
فقال لي ما تقول الهند في الحوت التي تحمل الارض الست اعلى
امرا واعم نفعا قلت له يا هالك ان مدار هذا الكلام انما يقع على
الاقسام الاربعة من جميع الحيوان المذكورة في الماء والارض
والهواء كالتي تنسلخ من اجناس الحيات والديدان وكالتي

العنبر قاتل للبال

سؤال غريب

يمشي من الدواب والناس وكالذي يطير من احرار الطير وبغاثها
وخشاشها وهمجها وكالذي يعوم كالسمك وكل ما يعايش
السمك. فاما الحوت الذي تكون الارض على ظهره فنحن قد
علمنا ان في الملائكة من هو اعظم من هذا الحوت مرارًا ولولا مكان
من حضرنا لكان ممن لا يسأل اهل الجواب وهذا مقدار معرفته

اعجوبة من خلقة الفيل

قالوا والفيل اقوى من جميع الحيوان ان حمل الاثقال ومن قوة
عظمه وعصبه انه يمر خلف القاعد مع عظم بدنه فلا يشعر
بوطئه ولا يحس بمره لاحكام بعض بدنه لبعض وهذه اعجوبة
اخرى وليس في حوامل اناث الحيوان اطول مدة حمل من الفيل
والكركدن فانه مذكور في هذا الباب والفيل يزيد عليه
في قول بعضهم فاما الهند فعنتهم بالكركدن اشد من عنتهم بالفيل
فاما ما كان دون ذلك من اجناس الحيوان فاطولها حملا الحافر
والخف ولا يزيدان على السنة الا ان تسحب الانثى وتجر اياما

فاما الظلف فعلى ضربين فما كان منها من البقر فان مدة حملها
وحمل النساء تسعة اشهر وما كان من الغنم فان حملها خمسة اشهر
وقد ذكرنا حال اجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من كتابنا هذا
قالوا والفيلة اهونها في العين واجدر ان تتخذ ظهورها كالمناظر
والمسالح والارصاد وللفيل قتال وضرب بخرطومه وخبط بقوائمه
وكانت الاكاسرة ربما قتلت الرجل بوطء الفيلة وكانت قد
دربت على ذلك وعلمته فاذا القوا اليها الرجل تركت العلف
وقصدت نحوه فداسته. ولذلك انشد العباس بن يعقوب
العامري لناهض بن ثومة العامري قوله

انا الشاعر الخطار من دون عامر وذو الضغن اذ بعض المحامين ما *هش*
يخبط خبط الفيل حتى تركته اميم به مستدميات مفادش

وانشد الاصمعي وابو عمرو لتميم بن ابي مقبل

بني عامر ما تأمرون بشاعر تخير بابات الكتاب هجائيا

أأعفو كما يعفو الكريم فإنني أرى الشعب فيما بيننا متدانيا
أم أخبط خبط الفيل هامة رأسه بحرد فلا أبقي من الرأس باقيا

وكانت الأكاسرة وهي الكسور تؤدبها وتعودها وطء
الناس وخبطهم إذا ألقي تحت قوائمها بعض أهل الجنايات فكان ممن
رمي به تحت الفيلة النعمان بن المنذر وقال في ذلك الشاعر

إن ذا التاج لا أبا لك أضحى وذرى بيته نحور الفيول
إن كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه أم البليل

وذكر الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن
عمير قال رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك
الصين فيه من ملك الصين الذي على مربطه ألف فيل وبنيت داره
بلبن الذهب والفضة والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي له نهران
يسقيان الألوة إلى معوية قالوا ولما أراد كسرى قتل
زيوشت المغني لقتله فهلبذ المغني وأمر أن يرمى به تحت الفيلة

وقال قلت أحسن الناس غناء وأجودهم أمتعا الملك حسدا له
فلما سحبوه نحو الفيلة التفت إلى كسرى وقال إذا قتلت زيوشت
وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يطربك فقال المدة التي بقيت لك هي
التي أنطقتك خلوا سبيله

باب ما يدخل في
ذكر الفيل وفيه أخلاط من شعر
وحديث وغير ذلك

قال رؤبة في صفة الفيل

أجرد كالحصن طويل النابين مشرف اللحي صغير الفقمين
عليه أذنان كفضل الثوبين

وأنشد ابن الأعرابي

هو البعوضة إن كلفته كرما والفيل في كل أمر أصله لوم

وقال أعرابي ووصف امرأة له

لو أكلت فيلين لم تخش البشم

وقال أعرابي لبعض الأكرياء

لو تركب البختي ميلا لانحطم ● أو تركب الفيل بها الفيل رزم

وحمل ناس أبا الجلال الهدادي على الفيل أيام الحجاج فتمنع وأنشأ يقول

أأركب شيطانا وشيطانا مضبة الآن رأي يوم ذاك مضلل

قالوا له لو علوته ما كان عندك إلا كالبغل فلما علاه صاح الأرض الأرض فلما خافوا أن يرمي بنفسه وهو شيخ كبير أنزلوه فقال بعد ذلك في كلمة له

وما كان بختي يوم ذلك بغلة ● ولكن جلبا من رجيع السحاب

وقال

وما كنت يوم الفيل فوق مطية ● ولكن على وطفاء جون ربابها

وقال بعض المحدثين والمتملحين في بعض النساء

أرادت مرة بيتا لها فيه تماثيل

فلما أبصرت سترا لوجهه تهاويل

وفيه الفيل منقوشا وفي مشفره طول

قالت انزعوا الستر فلا يأكلني الفيل

وقال خلف بن خليفة الأقطع حين ذكر الأشراف الذين يخطون على ابن هبيرة

وقامت قريش قريش البطاح مع العصب لا أول الداخلة

يقودهم الفيل والزندبيل وذو الضرس والشفة المائلة

الفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن مروان وذو الضرس خالد بن سلمة المخزومي الخطيب وهو ذو الشفة قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة فيمن قتل وقد فصل خلف بن خليفة الفيل من الزندبيل ولم يفسر وقد اختلفوا في ذلك وسنذكره إذا جرى سببه إن شاء الله

الفيل المعروف بهذا الاسم ويقال رجل فيل إذا كان في رأيه

فباله والفياله الخطاء والفياد ويسمون ايضا الرجل بفيل منهم فيل
مولى زياد وصاحبه وفي انهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بابان
وموضع اخر يقال له فيلان وقد يعرض لقدم الانسان ورم جاسي
حتى تعظم له قدمه وساقه وصاحبه لا يبرا منه ويسمي ذلك الورم
داء الفيل ويسمي الرجل بدغفل وهو ولد الفيل ولا
يسمون بزندبيل وبعض العرب يقول للذكر من الفيلة فيل وللانثى
فيلة كما يقولون اسد واسدة وذيب وذيبة ولا يقولون مثل ذلك
في ثعلب وضبع وامور غير ذلك الا ان يكون اسما لانسان
وبعث رجل من العرب بديلا مكانه في بعض البعوث وانشا يقول

اذا ما الخبت لشقراء ميلا فمان علي ما لقي البديل
يشنعها ويحسبها بعيرا قليل علمه بالخيل فيل

وانشدنا الاصمعي

يفرون والفيل الجبان كانه ازب خصي نفرته القعاقع

(من يسمى فيل)
(داء الفيل)

قال سلمة بن عياش قال لي رؤبة ما كنت احب ان ارى
في رايك فيالة وبالكوفة باب الفيل وبواسط باب الفيل
ومنهم فيلويه وهو ابي حاتم بن فيلويه وكان ابو مسلم ربا اباحاتم
حتى اكتهل وهما سقيا ابا مسلم السم حتى عولج بالترياق فافاق
فقتلهما ابو مسلم بعد ذلك وكانا على شبيه بدين الخرمية
ويقولون عنبسة الفيل وهو النحوي وهو احد قدماء النحويين
الحذاق وهو عنبسة بن معدان وكان معدان يروض فيلا لزياد
فلما انشد عنبسة بن معدان هجاء جرير للفرزدق قال الفرزدق

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي علي القصائدا

فلما تناشد الناس بعد ذلك هذا الشعر قال عنبسة انما قال الفرزدق

لقد كان في معدان واللوم زاجر

فقالوا ان شيا فررت منه الى اللوم لما هيك به قبحا فعند ذلك سمي
عنبسة الفيل وغيلان الراجز كان يقال له غيلان

راكب الفيل كان الحجاج بن يوسف ربما حمله على الفيل وسعدويه

الطنبوري وكان يقال له سعدويه عين الفيل

قال ابو عبيدة حدثني يونس قال لما ابتنى فيل مولى زياد

داره وحمامه بالسيابجة عمل طعاما لاصحاب زياد ودعاهم

الى داره وادخلهم حمامه فلما خرجوا منه غداهم ثم ركب وغبّر

في وجوههم فقال ابو الاسود الدؤلي

لعمر ابيك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل

وقال الجارود بن ابي سبرة

وما ارقاصنا خلف الموالي بسنتنا على عهد الرسول

وانشدنا الاصمعي وغيره

خلافا علينا من فنائه راية كما قيل قبل اليوم خالف تذكر

ويقال للرجل ذا عنق عندنا لرأي يراه لم تقبل رايك

وقد قال الداعي فلان وحدثنا عبد الله بن بكر عن حميد عن

انس قال قال رسول الله صلى الله عليه لما انتهيت الى السدرة اذا ورقها امثال

آذان الفيلة واذا ثمرها امثال القلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها

تحولت ياقوتا وقال صاحب الكيمياء

في جري بن يزيد

مهلا ابا العباس رفقا ولا تكن خصيم المعشر الحون

هيهات هيهات لما رمته او يولد الفيل من النون

انت اذا ما عد اهل الحجى والحلم كالاحنف في سن

وكل طاير يخرج من البيض وكل ولد يخرج من البيض وان لم يكن

طايرا فانما يسمى فرخا كفرخ الحيات والوزغة والعظاءة والرق

والسلحفاء والحلكاء وبنات النقا وشحمة الارض والضب والجرذون

والورل والحرباء الا ما يخرج من بيض الدجاج فانه يقال له فروج

ولا يقال له فرخ الا ان الشعراء يتوسعون في ذلك قال

شماخ بن ابي شداد

الفرخ من [illegible] والفروج

هيهات هيهات لما رمته او يولد الفيل من النون

الا من مبلغ خاقان عنا تامل حين يضربك الشتاء

انجعل في عيالك من صغير ومن شيخ اضر به الفناء

فراخ دجاجة يتبعن ديكا يلذن به اذا حمس الوغاء

وقال الآخر

احب اليّ من فراخ دجاجة صغار ومن ديك تنوس غباغبه

واذا سمى اهل البصرة انسانا بفيل فارادوا تصغيره قالوا فيلويه كما
يجعلون عمرا عمرويه ومحمدا حمدويه وكان
محمد بن ابرهيم الرافقي الفارس النجيد فيل نصر بن شبث مولى بني
نصر بن معوية له كنيتان ابو الفيل وابو جعفر ولم يكن بالجزيرة
افرس من داود بن عيسى وابي الفيل وعيسى بن منصور من ساكني
الرافقة وقال بعض المحدثين

يا لحية طالت على نوكها كانها لحية جبريل

لو كان ما ينصب من مائها نهرا اذا طم على النيل

او كان ما يقطر من دهنها كيلا لوفى الف قنديل

فلو تراها وهي قد سرحت حسبتها سبلا على فيل

وانشد ابو عمرو الشيباني لبعض المولدين

اني اتلاني في الفيول وازدحمت فكيف حال البعوض في الوسط

وانشد علي بن محمد

ما الفيل احمله موقرا رصاصا باثقل من محمد

ولا قرملي عليه الغبيط يتو بعدلين من اثمد

وجاموسة اوقرت زيبقا باثقل منه ولا انكد

وقال الآخر

بات يرى ليس له داخل الا اخرا جمع في زاوية

ان جئت فالفيل على هامتي ومثله ينط باوصاليه

ووصف مرة بن محكان قدرا فقال

ترمي الصلاة بنبل غير طائشة • وفقاً إذا آنست من تحتها لهبا •
زيافة مثل جوف الفيل مجفرة • لو يقذف الزأل في حيزومها ذهبا •

وقال بعض الأكرياء في امرأة كان حملها •

بيضاء من رفقة عمران الأصم • لا تغل في سنها ولا قصم •
بمكنة لو ترتب الفيل رزم • كأنما يوم تواتي بالحرم •
غمامة غراء عن غب رهم •

وقال رؤبة بن العجاج •

إن الرداف والكري الأزرقا • يكفيك دره الفيل حتى بركا •

ثم قال •

يسقي بي الغيران حتى أحسبا • سيداً مغيراً أو لياحاً مغربا •

قال صفوان بن صفوان الأنصاري • وكان عند داود بن يزيد بالمولتان • الهند تؤدب الفيلة بأشكال من التأديب ويضربون من التقويم فمنها أدب الحروب حتى ربما نطوا السيف الهذام

الرغيب الشديد المتن الحديد الغرب التام الطول • الطويل السيلان في طرف خرطوم الفيل • وعلموه كيف يضرب به • قدماً يميناً وشمالاً • وكيف يرفعه بخرطومه • حتى يكون فوق رؤوس الفيالين القعود على ظهره • قال وأنشدني هرون بن فلان مولى الأنصار • قصيدته التي ذكر فيها خروجه في الحرب إلى فيل في هذه الصفة • تمشي إليه • فلما كان حيث يناله السيف • وثب وثبة أعجله بها عن الضربة • ولزق بصدر الفيل • وتعلق بأصول نابيه • وهما عندهم قرناه • فجال به الفيل جولة • كاد يحطمه من شدة ما جال به • وكان رجلاً شديد الخلق • رابط الجأش • قال فاعتمدت وأنا في تلك الحال • وأصول الأنياب جوف • فانقلعا من أصلهما • وأدبر الفيل • وصار القرنان في يدي • وكانت الهزيمة • وغنم المسلمون غنائم كثيرة • وقلت في ذلك •

مشيت إليه وادعاً متمهلاً • وقد وصلوا خرطومه بحسام •

فقلت لنفسي إنه الفيل ضارب • بأبيض من ماء الحديد هذام •

فإن تنكلي عنه فعذر لك واضح • لدى كل منخوب الفؤاد عبام •

وعند شجاع القوم أكلف فاحم • كظلمة ليل جللت بقتام •

ولما رأيت السيف في رأس هضبة • كما لاح برق من خلال غمام •

تعاميته حتى لزقت بصدره • فلما هوى لازمت أي لزام •

وعفت بقرنيه أريد لبانه • وذلك من عادات كل محام •

فجال وهجيراه صوت مخضرم • وأب بقرني يذبل وشمام •

وقال هرون •

ولما أتاني أنهم يعقدونه • بقائم سيف فاضل الطول والعرض •

شهدت ولم أحفل بذلك منهم • إذا كان أنف الفيل في عفر الأرض •

وحين رأيت السيف يهتز قائما • ويلمع لمع الصبح بالبلد المفضي •

وصار كخراق بكف حزور • ويصرفه في الرفع طورا وفي الخفض •

وأقبل يفري كل شيء أماله • وصرت كأني فوق مزلقة دحض •

وأهوى لجاري فاغتنمت ذهوله • فلزت بقرنيه أخو ثقة محض •

فجال وجال القرن في لف ماجد • كثير مراس اللف مجتنب الخفض •

فصاح وولى هاربا لا يهيده • رطانة هندي برفع ولا خفض •

والقيل تزعم أن نابي الفيل إنما هما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا
الحنك ويخرجا عقفين وإنما يجعلها نابين من لا يعرف الأمور قالوا
والدليل على ذلك أن لهما أصلا في موضع مخارج القرون يوجد ذلك
عند سلخ جلده • ولأن القرن لا يكون إلا مصمت الأعلى مجوف
الأسفل • وكذلك صفة هذا الذي يسميه من لا علم له نابا • ومع ذلك
أنا لا نجد الفيل يعض به • كعض الأسد للأكل • ولا كعض الجمل
الصؤول للقتل • ولا كعض الأفعى لإفراغ السم • ولا نراه يصنع به
ويستعمله • إلا على شبيه بما تستعمله ذوات القرون عند القتال
والغضب • فقال لهم بعض من يرد عليهم أما قولكم
أن القرن لا يكون إلا مجوف الأصل • فهذا قرن الأيل مصمت من أوله

الى اخره وهو يتصل في كل سنة واذا نبت حديثا لم يظهر حتى يستحكم
في نبته وصلابته فاذا علم انه قد بلغ ذلك ظهر واكثر القرون الجوف
يكون في اجوافها قرون وليس ذلك لقرن الفيل قالوا ولم نجد
هذا القرن في لون القرون ووجدناه بساير اسنانه واضراسه اشبه
للبياض واليبس وليس كذلك صفة القرون وتقول
الهند فم الفيل صغير وهو افقم ولا يجوز ان يكون مثل ذلك الذي
والفك ينبت منه وفيه نابان يكون فيهما ثلماية منا وقد راينا قرونا
كثيرة بيضا وبرشا وصهبا فهذه ايضا من اعاجيب الفيل
وقرن الكركدن اغلظ من مقدار ذراع في ذراع وليس طوله
على قدر غلظه وهو اصلب واكرم من قرني الفيل ويقال
ان اكبر ايور الحيوان اير الفيل واصغرها قضيب الظبي وقضيب البط لا
يذكر مع هذه الاشكال وليس شي على قدره ومقدار جسمه اعظم
ايرا من البغل وقد علمنا ان للضب ايرين وكذلك الجرذون

لسلا ممار ١٢

والسقنقور وعرفنا مقدار ذلك ولكنه لا يدخل في هذا الباب
ولو لم يكن من اعاجيب الفيل الا خرطومه الذي هو انفه وهو يده وبه
يوصل الشراب والطعام الى جوفه وهو شي بين الغضروف واللحم والعصب
وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صياحه في مقدار جرم بدنه
ويضرب به الارض ويرفعه في السما ويصرفه كيف شاء وهو
مقتل من مقاتله والهند تربط في طرفه سيفا شديد المتن فيقاتل
به مع ما في ذلك من الهول على من عاينه وهو يقصد نحوه وهو مع
عظم بدنه جيد السباحة الا انه يخرج خرطومه ويرفعه في الهوا
صعدا لانه انفه الا ترى ان الجاموس يغيب جميع بدنه في الما
الا منخريه والبعير قبيح السباحة لانه يسبح على جنب وهو في ذلك
بطي ثقيل والبعير يحاير بينه وبين الفيل فلذلك ذكرناه
وقد علمنا ان الانسان يغرق في الما ما لم يتعلم السباحة
فاما الفرس الاعسر والقرد فانهما يغرقان البتة والعقرب تقوم

غريب

وسط عمق الما لا طافية ولا لازقة بالارض اشراف
السباع وسادتها وكبارها ورؤساوها ثلثة الكركدن
والفيل والجاموس قال ولعل بعض من قد اعتاد الاعتراض على الكتب
ان يقول ان الخيل والابل وفيهما من خصال الشرف والمنافع والغنا في
السفر والحضر وفي الحرب والسلم وفي الزينة والبها وفي العدة والعتاد
ما ليس عند الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس قال
القوم ليس الى هذا الباب ذهبنا ولا اليه قصدنا ولا ذلك الباب مما
يجوز ان ندخله في هذا الباب ولكنا ذهبنا الى المحاماة والدفع عن
الانفس والقتال دون الاولاد والى الامتناع من الاضداد بالحيلة
اللطيفة وبالبطش الشديد وليس عند الخيل والابل اذا خافت الاسد
والببور والنمور ما عند الجاموس والفيل فاما الكركدن
فان كل شي من الحيوان يقصر عن غايته لتقصيرا فاحش وما اكثر
من ينكر ان يكون في الدنيا حيوان يسمى الكركدن ويزعمون

ان هذا وعنقاء مغرب سواء وان كانوا يرون صورة العنقا مصورة
في بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كانه قال هو وحده
ثلثون طايرا لان قولهم سي بالفارسية هو الطاير بالعربية والعرب اذا اخبرت
عن هلاك شي وبطلانه قالت حلقت به في الجو عنقاء مغرب وفي
بعض الحديث ان بعض الامم سالوا نبيهم وقالوا لن نومن لك حتى تفعل
كذا وتفعل كذا وتلقي في فم العنقاء اللجام وترد اليوم امس
وقال ابو الشهي السمطي وهو معدان المكفوف المديري

ثلثون وسبع نسخة

يا سمي النبي والصادق الوعد وجد الصبي ذي الخلخال
صاحب النومة التي لم تشنها بعد حرس مثاقب اللال
ممدنه العنقاء وهي عقيم رب مهد يكون فوق الهلال
يوم تصغي له النعامة والاحناش طرا الشدة الزلزال
فاهل هذه النحلة يثبتون العنقاء ويزعمون انها عقيم
وقال زرارة بن اعين مولى بني اسعد بن همام وهو رئيس

النيمية . وذكر هذا الصبي الذي تكفله العنقاء فقال

وأقل ما يجيء بماح وأكبش . ولو شاء أحيا ربنا وهو مذنب

ولكنه ساعي بأم وحرة . وقال يبلغني الشفيع المقرب

ولاخبر برهانا أنه قلب بينكم . والجامة العنقاء في العين أعجب

يصيف بتاباط ومشتو بآمد . وذلك سر لو علمناه معجب

أملح له الأثبت والبحر جامد . وملكه الأبراج والشمس تحجب

فيومئذ قامت شمال بعذرها . وقام عتيب القبر يبغي ويخطب

وقام صبي دردق في قماطه . عليم بأصناف اللبانين معرب

فثبت زرارة بن أعين قول أبي السري في العنقاء . وزادنا تثبيت الكبريت الأحمر . ولا أعلم في الأرض قوما يثبتون العنقاء على الحقيقة غيرهم

قال . والذي يثبت الكركدن أن داود النبي صلى الله عليه ذكره في الزبور حتى سماه . وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان إلا أنه سماه الحمار الهندي . وجعل له قرنا واحدا في وسط

جبهته . وكذلك أجمع عليه أهل الهند صغيرهم وكبيرهم فأما ما صار الشك يعرض في أمره من قبل أن الأنثى منها تكون نزورا وأيام حملها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة فلذلك قال عدد هذا الجنس

وتزعم الهند أنه إذا كان الكركدن ببلاد لم يرع شيء من الحيوان شيئا من أكناف تلك البلاد حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع جهات الأرض هيبة له وخضوعا وهربا منه . وقد قالوا في ولده وهو في بطنها قولا لولا أنه ظاهر على ألسنة الهند لكان أكثر الناس بل كثير من العلماء يدخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون أن أيام حملها إذا كادت تتم . وإذا انفتحت وبحث وجرت ودنا وقت الولاد فربما أخرج الولد رأسه من ظبيتها فأكل من أطراف الشجر فإذا شبع أدخل رأسه حتى إذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم وضعته فضعته قويا على الكسب والحضر ممتنعا من العدو وقبل لا يتعرض له سباع السباع . وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج

من بطن امه نابت الاسنان لطول لبثه في بطنها وهذا جائز في ولد
الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفات الابناء والاباء قد
ولدن اولادهن ولهم اسنان نابتة كالتي رووا في شأن
مالك بن انس ومحمد بن عجلان وغيرهما ○ وقد زعم
ناس من اهل البصرة ان خاقان بن عبد الله بن الاهتم استوى في
في بطن امه ثلثة عشر شهرا وقد مدح بذلك وهجي
وليس هذا بالمستنكر فان كنت لم ار قابلة قط تعرف شيئا من هذا
الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما قد علمت ولكن العجب
كل العجب فيما ذكروا من اخراج ولد الكركدن راسه والعلف فه
ثم ادخاله راسه بعد الشبع والبطنة ولا بد من ان يجعل الله لما
اكل من نجو فان بقي ذلك الولد ياكل ولا يروث فهذا عجب
وان كان يروث في جوفها فذلك اعجب وانما جعلناه يروث حين
سموه حمارا وهذا مما ينبغي لنا ان نذكره في خصال الحمير

اذا بلغنا ذلك الباب ○ فلست اقر بان ولدا يخرج
راسه من فرج امه حتى ياكل شبعه ثم يدخل راسه من فرج
امه ولست اراه محالا ولا ممتنعا في القدرة ولا ممتنعا في
الطبيعة واري جوازه موهوما غير مستحيل الا ان قلبي ليس
يقبله وليس في كونه ظلم ولا عبث ولا خطاء ولا تقصير في
شي من الصفات ولم نجد القرآن يكره ولا الاجماع يدفعه
والله هو القادر دون خلقه فلست ابت انكاره وان كان
قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا
يعرفونه الا بالعيان الظاهر والخبر المتظاهر وليس الخبر عنه
الخبر عن الحية الدساس التي تلد ولا تبيض وانما انكر ذلك
ناس لان الدساس ليس باشرف كالخفاش بل هو من المسوخ كثير
الطير وكاللواتي تبيض من ذوات الاربع من المائيات والارضيات
وليس الخبر عن الكركدن ايضا كالخبر عن الثلفين انهما تلد وعن

وعن اللخم مثل ذلك وان الكوسج مولود من بين اللخم وسمكة اخرى
وهذا كله غير مستحيل الا اني لا اجعل الشي الجائز كونه كالشي
الذي ثبّته الادلة وتخرجه البرهان من باب الانكار والواجب
في مثل هذا الوقف وان كان القلب الى بعض ذلك اميل والميل
ايضا يكون في طبقات وكذلك الظن قد يكون داخلا في باب
الاغلب وربما قصر عن ذلك شيا ، وقد زعم ناس
من اهل العلم ان السمك كله يلد وانهم انما سموا ذلك الحب بيضا
على التشبيه والتمثيل لانه لا قشر هناك ولا مح ولا بياض ولا
شي وان السمكة لا تخرج ابدا الا فارغة البطن او محشوة ولم
من الحب الذي يقرب مبالها اعظم ولم نرها القت احدى تلك الطوامير
وبقيت الاخرى وانما غلط في ذلك ناس من قبل ضيق السبيل والمسلك
فظنوا ان خرق المبال يضيق عن عظم ذلك الجسم العظيم المجتمع
من الحب الصغار قالوا فانما تخرج تلك الطوامير واحدا واحدا

في ولادة السمك (?)

واولا فاولا وما ذلك باعجب ولا اضيق من حياء الناقة والسقب
والحايل يخرجان منه خروجا سليما اذا اذن الله في ذلك وكذلك
المراة وولدها والفيلة والجاموسة والرمكة والحجر والاتان
والشاة في ذلك كله مثل السمكة بيضها وهذا مذهب ناس
من الناس والحجة على هولا في الحضن انا قد نجد اشكالا كثيرا
من ذوات البيض لا تحضن ولا تلتفت الى بيضها وفراخها
والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن وتزعم
انه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد في وسط جبهته فلا يشعر
بمكانه ولا يحس به حتى يتقطع على الايام ، وهذا
من القول اشبه بالخرافة ، واعجب من القول في ولد
الكركدن ما يخبر به ناس من اهل النظر والادب والطب
وقراة الكتب وذلك انهم يزعمون ان النمرة لا تضع ولدها
ابدا الا وهو متطوق بافعى وانها تعيش وتنهش الا انها لا تقتل

في الكركدن ونطحه الفيل (?)

ولو كنت اجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودواسي الكتب لبدأت
بصاحب هذا الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الافعي تلد وتبيض
لان تاويل ذلك ان الافعي تحتضن بيضها فاذا طرقت بالبيض تلوت
فحطمته في جوفها ثم ترمي بتلك القشور والخراشي اولا فاولا
كما لا بد لكل ذي حمل ان تلقي مشيمتها ويزعم كثير من
الاعراب ان الكماه تحتضن فتخلق منها افاعي فهذا الخبر وان كنت
لا اسرع الى رده فاني على اصحابه البن كنفا فاما قرن

قرن الكركدن

الكركدن فخبرني من اراه ممن اثق بعقله واسكن الى خبره
ان غلظ اصله وسعة جثته يكون نحوا من شبرين وليس طوله
على قدر ثخنه وهو محدد الراس شديد الملاسةململم الاجزاء
ومدمج في لدونته وعلوكته في صلابته لا يمتنع عليه شيء
ويجهز من عندنا بالبصرة الى الصين لانه يقع الينا فتلهم فاذا قطعوه
ظهرت في مقاطعه صور عجيبة وفيه خصال غير ذلك لها يطلب

وقد كنا نزعم ان الهواء للعقاب وان الماء للتمساح وان الغياض
للاسد حتى زعم اصحابنا ان في نيل مصر حيوانا تاكل التماسيح
اكلا ذريعا وتقوى عليها قوة ظاهرة وتغتصبها انفسها فلا تمتنع
عليها وعارضوا من انكر خيل الماء وخنازير الماء وبكلاب الماء
وبخنزير الماء ولم اجدهم يشكون ان بعض الحيوان الذي يكون في
البحر مما ليس بسمك وهو يعايش السمك وقد ذهب عني اسمه انه

حيوان يعين الغريق

متى ابصر غريقا تعرض له وصار تحت صدره وبطنه فلا يزال
كالحامل له وكالمزجي والمعين له حتى يقذف به الى جزيرة
او ساحل او جبل واصناف سمك البحر واجناس ما يعايش سمك البحر
لا تكون في اوساط اللجج وفي تلك الاهوار العظام مثل لجة
سقوطرا وهركند وصنجي وكذلك اهل البحر اذا عاينوا ثماما
او طيرا ايقنوا بقرب الارض الا ان ذلك القريب قد يسمى
بعيدا فلذلك يسلم ذلك الغريق بمعونة ذلك الحيوان

فاما الاسد والببر فمتسالمان • واما الاسد والنمر فمتعاديان
والظفر بينهما سجال والنمر وان كان ينتصف من الاسد فان
قوته على ساير الحيوان دون قوة الاسد وبدنه في ذلك احمل
لوقع السلاح ولا يعرض لها الببر وقد ايقنا بانهما ليسا من بابته فهو
لا يعرض لهما للسلامة ناحيته وقلة شره وهما لا يعرضان له لما
يعرفان في انفسهما من العجز عنه • واما البهايم الثلث اللواتي
ذكرناها فانها فوق الاسد والنمر والببر • والببر هندي
ايضا مثل الفيل • واما الكركدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة
ولا يطمع فيه ولا يروم ذلك منه • واما الجاموس والاسد
فخبرني محمد بن عبد الملك ان امير المومنين المعتصم بالله ابرز للاسد
جاموسين فغلباه ثم ابرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت
ولدها وحضنته ثم ابرز له جاموسا وحده فواثبه ثم ادبر عنه هذا
وفي طبع الاسد الجراة عليه لانه يعد الجاموس من طعامه والجاموس

يعرف نفسه بذلك فمع الاسد من الجراة عليه على حسب ذلك
ومع الجاموس من الخوف على قدر ذلك وفي معرفة الاسد ان له في
فمه من السلاح ما ليس لشي سواه • وفي معرفة الجاموس بعدم ذلك
السلاح منه فمعه من الجراة عليه بمقدار ما مع الجاموس من التهيب
له • ويعلم انه قد اعطي في كفه ومخالبه من السلاح ما ليس لشي
سواه • ويعلم الاسد والجاموس جميعا انه ليس في فم الجاموس
وبدنه وظلفه من السلاح قليل ولا كثير • فمع الاسد من الجراة عليه
ومع الجاموس من الخوف منه على حسب ذلك • ويعلم الاسد ان
بدنه يموج في اهابه • وان له من القوة على الوثوب والصبر والجهد
والطلب والهرب ما ليس مع الجاموس بل ليس ذلك عند الفهد في
وثوبه • ولا عند السبع في سرعة مره • ولا عند الارنب في صعداء
ولا هبوطه • ولا يبلغه نفز الظبي اذا جمع جراميزه • ولا ركض
الخيل العتاق اذا اجيد اضمارها • والجاموس يعرف كل ذلك منه

ومن الاسد ومعه من النكوص عنه بقدر ما مع الاسد من الاقدام
عليه ويعلم انه ليس الا قرنه وان قرنه ليس في جملة قرون
بقر الوحش فضلا على جملة اطراف مخالب الاسد وانيابه وان قرنه
مبتذل لا يصان عن شي ومخالب الاسد في كمام وصوان فاذا قوي
الجاموس مع هذه الاسباب المجتنبة على الاسد مع تلك الاسباب
المشجعة حتى يقتله او يطرده عنه كان قد تقدمه تقدما فاحشا
وقد علاه علوا ظاهرا فلهذا قدمنا الجاموس وهو بهيمة وقدمنا
رؤسا البهائم على رؤسا السباع هذا سوى ما فيها من المرافق والمنافع
والمعاون والجاموس اجزع خلق الله من عض جرجسة وبعوضة
واشده هربا منهما الى الما وهو يمشي الى الاسد رخي البال رابط
الجاش ثابت الجنان فاما الفيل فلم يولد الناس عليه
وعلى الكركدن ما ولدوا من افراط القوة والنجدة والشهامة
الا والامر بينهما متقارب عندهم والهند اصحاب الببور والفيول

كما ان النوبة اصحاب الزرافة دون غيرهم من الامم واهل غانة
انما صار لباسهم جلود النمور لكثرة النمور بها الا انها على حال موجودة
في كثير من البلدان وقد ذكروا باجمعهم قوة الفيل الوحشي على
الاسد وقالوا في الفيلة الاهلية اذا لقيت عندنا بالعراق الاسد
وجمعنا بينهما قالوا اما واحد فان ذكورة الفيلة لا تكاد تعيش
عندكم وانيابها التي هي اكبر سلاحها لا تنبت في بلادكم ولا
تعظم ولا تزيد ولا على ما كانت عليه ما اقامت في ارضكم وهي
ايضا لا تتناتج عندكم وذلك من شدة مخالفة البلدة لطبايعها
ونقضها لقواها وانما اسرع اليها الموت عندكم للذي يعتريها من الافات
والاعراض في دوركم فاجتمعت عليها خصال اول ذلك انها مع
الوحش وفي صميم بلادها اقوى واجرا واشهم نفسا وامضى فلما
اصطدناها بالحيل وصيرناها مقصورة واهلية بعد ان كانت وحشية
وفي غير غذائها ومائها لانها كانت تشرب اذا احتاجت وتاكل اذا احتاجت

وناخذ من ذلك على مقادير ما نعرف من موقع الحاجة فلما صارت
الى قيام العبيد عليها والاجراء بشانها والوكلاء بمصالحها دخل ذلك
من النقص والخور والخطا والتقصير على حسب ما نجده في ساير الاشياء
ثم لم نرض بذلك حتى نقلناها من تلك البلدة على نكارة ما لتلك البلدة
فصيرناها الى الضد بعد ان كانت في الخلاف وقد علمنا ان سبيلها
سبيل ساير الحيوان فان الابل تموت ببلاد الروم وتهلك وتسوء حالها
والعقارب تموت في مدينة حمص والتماسيح تموت ان تعدت الى دجلة
والفرات والناس يصيبهم الجلاء فيموتون فيها فنون وقد علمنا ان
الزنج اذا اخرجوا من بلادهم فما يحصل عندنا منهم بالبصرة الا اليسير
وكذلك لو نقلوا اليكم بزر الفلفل والساج والصندل والعود
وجميع تلك الاهضام فاما شاع نبات العاج في بلادكم الا كما شاع
نبات الابنوس وان كان ينبت في حيوان والاخر في ارض فلا يفخر
مفتخر بالاسد في هذه البلد اذا قاوم الفيل والاسد هاهنا في بلاده

[illegible]

وفي الموضع الذي تسوق اموره عليه لان اسد العراق هي الغاية
واقواها اسود السواد ثم سواد الكوفة ولان الفيلة ايضا ترى عندكم
الشنانيرة وقد جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور والوحشة
منه كما ان بعض شجعانكم يمشي الى الاسد ويقبض على الثعبان
ولا يستطيع النظر الى الفار والجرذان حتى يهرب منها كل الهرب
ويعتريه من الفصة واصفرار اللون ما لا يعتري المصبوب على السيف
وهو يلاحظ برقبته عند قفاه وذكر علي بن محمد
السمري قال بينا عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد
اذ دخل على عبيد الله جرذ ابيض ليعجب منه فاقبل عبيد الله على
عبد الله فقال هل رايت يا ابا صالح اعجب من هذا الجرذ قط قال
واذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كانه فرخ واصفر حتى صار كانه
جرادة ذكر فقال عبيد الله ابو صالح يعصي الرحمن ويتهاون بالشيطان
ويقبض على الثعبان ويمشي الى الاسد ويلقى الرماح بوجهه وقد

[illegible]

اعناه من جرذ بما ترون اشهد ان الله على كل شي قدير

قالوا فاذا عاين الفيل الاسد راى شبه السنور فيه فيظن انه سنور عظيم

فلا يبلغ منه مقدار تلك المناسبة وذلك الشبه ومقدار ذلك الظن

ما يبلغ رؤية السنور وليس هربه منه من جهة انه طعام له وانه ان

ساوره خافه على نفسه وان كان في المعنى يرجع الى انه طعام لصغار

السباع وكبارها وهل قتل اسد قط فيلا ومتى اكله وانه مع ذلك

لربما تركه الركله فاما ان يقتله واما ان يذهب عنه هاربا في الارض

واما ان تخبله وانه حجه على الفيل بان يرى شيا فينفر منه والاسد

يشار اليه بشعلة من نار او يضرب له بالطست فيهرب منه فانما هذا

كنحو تفزع الفرس من كل شي تراه في الماء وهو عطشان فاباه

ويزعم ناس من اصحاب الخيل ان الفرس ليس يضرب بيديه في الماء الصافي

ليثوره لان الماء الكدر احب اليه وما هو الا كالثور الذي يحب

الصافي ويختاره ولكنه اذا وقف على الماء الصافي راى فيه ظله

في حال الفيل والاسد

نادرة في الفرس

وظل غيره من الاشخاص فيفزعه ذلك فلمعرفته بان الماء الكدر

لا تتصور فيه الصور يضرب بيديه هذا قول هولاء

فاما قول صاحب المنطق وغيره ممن يدعي شان الحيوان

فانه يزعم ان الفرس بالماء الكدر اشد عجبا منه بالصافي كما ان الابل لا

يعجبها الماء الا ان يكون غليظا وذلك هو الماء النمير عندهم وانما

تضلع الابل على الماء الذي تضلع عليه النخل ويزعم بعض من اقام

ببلاد السودان ان الذين يسكنون شاطي النيل من الحبشة والنوبة

يشربون الماء الكدر وياكلون السمك النيء فاذا اشتد واعلى بطونهم

ضربا من اضراب خيل الماء وجدوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك

ويزعمون ان اعفاج هذا الفرس تبري من الصرع الذي يكون في الاهلة

قال بعض من ينصر الاسد اسد الهند ضعيف بل هي ضعيفة

جدا والفيل في بلادهم اقوى والوحشي منها اجرا والمغتلم منها لا

يقوم له الا الكركدن وانه ليهجم عليه فيحجم عنه حتى تذهب

سكره العلمة فرجع الى معرفة حال الكركدن فلا يطور طوارة ولا
يحل بادا في ارضه ۞ فاما الفيل فاذا كان غير هائج والاسد
في غير ايام هياجه ثم يكون الاسد عرافا ويكون سوادا ويلون
من اجمه ابن بقيا فان الفيل لا يقوم له ۞ قال صاحب الفيل
الفيل لا يعاين اسد ابن بقيا حتى تفتحه البلد وتهدمه الوحشة ويمرضه
الغذاء ويفسده الماء وهو لا يصل الى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين
ذلك الاسد حتى يسمع تجاوب السنانير وتطاعيها وهو اسمع من قراد
فيعب ذلك في صدره وتزداد تلك الوحشة في نفسه فمتى راى اسدا
فانه ربما دعته الوحشة منه والبغض المجعول فيه الى الصدود والذهاب
عنه فيظن كثير من الناس ان ذهابه هرب وان صدوده جبن وانما هو
من الوحشة منه والكراهة لمنظره وربما اضطره الاسد بحرفه حتى
ينقض جلده ويغلب وقاره فيخبطه خبطة لا يفلح بعدها ۞
قال صاحب الفرس زعمتم ان الاسد في الارض كالعقاب

في الهواء وان العقاب في السماء كالتمساح في الماء وان تمساحا واسدا
التقيا على شريعة فقتل كل واحد منهما صاحبه كان التمساح ضرب
الاسد بذنبه في الشريعة وضغم الاسد راسه فماتا جميعا قال فالفرس
المائي النيلي يقتل التماسيح ويقهرها ويأكلها ولا يساجلها الحرب
ولا يقع بينهما مغالبة ومجاذبة وتكون الايام بينهما دولا فهذه
فضيلة ظاهرة على الاسد وشرف فرس الماء راجع الى شرف فرس الارض
فان كان فرس الارض لا يقوى على الاسد ولا على النمر ولا على الببر
فان ابن عمه وشكله في الجنس قد قوي على التمساح وهو رئيس سكان
الماء ۞ قالوا اما واحدة فان التمساح ليس برئيس سكان
الماء الان ترى سكان بعض الاودية والخلجان والبحيرات
في بعض المياه العذبة والكوسج واللخم والدلفين والبرطان
وضروب من السباع مما يعايش السمك ليس التمساح من بابته وعلى ان
التمساح انما ياكله ذلك الفرس وهو في الماء وليس له في جوف

الماء سبب عمل الا ان يحمل شيا بذنبه ويحجنه اليه ويدخله الماء
وربما خرج الى الارض للسفاد ولحضن البيض فلا يكون على ظهر الارض
شي اذل منه وذلك على ظهر الارض شبيه بذل الاسد في وسط الماء
الغمر ولعمري ان لو عرض له هذا الفرس في الشرايع فغلبه لقد كان
ذلك من مفاخره فلذلك لم تذكر الخيل في باب الغلبه والقتال
والمساجله والانتصاف من الاعدا والفرس قد يقاتل الفرس في المرج
اذا اراد ان يحمي الحجور كما يحمي العير العانه ويقاتل دونها كل
عير يريد مشاركته فيها وهذا شي يعرض لجميع الفحوله في زمن
الهيج وقد يصاول الجمل الجمل فربما قتل احدهما صاحبه ولكن
هذه الفحوله لا تعرض لشي من الحيوان في غير هذا الباب وان اراد الفرس
اسد فليس عنده من احراز نفسه وقتل عدوه ما عند الجاموس فان
فضله الجاموس بقرنيه فان السلاح الذي في فم الفرس لو استعمله
لكان سلاحا وحوافره لو استعملها لكانت سلاحا ولو استدبر

الاسد فرمحه وركله وعضه بفمه كان ذلك مما يدفع عنه
ويحمي لحمه وليس الجاموس في اظلافه وفي يديه ورجليه وفي
فمه سلاح فقد دلت الحال على ان مدار الامر انما هو في شجاعة القلب
وفي هذا القياس ان الصقر لم يواثب الكركي لمكان سلاحه
دون شجاعة قلبه التي بها يقوي الضعيف وبخلافها يضعف القوي
وما اقرب ذلك عندك بعض ما تعرفه لا تشك ان الهر اقوى من
الهرة في كل الحالات حتى اذا سفدها حدثت بينهما بغضاء ومطا لبه
حدثت للهرة شجاعة وللهر ضعف فصارت الهرة في هذه الحال
اقوى منها وصار الهر اضعف ولولا انه يمعن في الهرب غايه الامعان
ثم لحقته لقطعته وهو مستخذ ومثل ذلك ان الجرذ
يخصى ويرمى به في انابير التجار وفي الاقرحة والبيادر فلا يدع
جرذا ضخما قد غلب الهر وابن عرس الا قتله وان كان اعظم منه
واشد والخصي من كل شي اضعف قوة من الفحل الا الجرذ فانه

اذا خصي احدث له الخصاء شجاعة وجرأة واحدثت له الشجاعة قوة واحدث
علم الجرذان يخال الخصاء لها جبنا فاحدث الجبن لها ضعفا والرجل
الشديد الاسر قد يفزع فتنحل قواه وتسترخي عصبه حتى يضربه الصبي
والذئب القوي من ذئاب الخمر يكون معه الذئب الضعيف من ذئاب
البراري فيصيب القوي خدش يسير فحين يشم ذلك الذئب الضعيف ريح
الدم وثب عليه فيعتري القوي من القوة حتى يأكله كيف شاء
والاسد الذي يعتريه الضعف في الماء الغمر حتى يركب ظهره الصبي
ثم يقبض على اذنيه فيغطه كيف شاء وقد يفعل ذلك به غلمان السواد
وشاطي الفرات اذا احتملت المد وذا الاسد لا تملك من انفسها شيئا وهو
مع ذلك يشد على العسكر حتى يفرقه فرق الشعر ويطويه طي
السجل ويهارش النمر عامة يومه لا يقتل احدهما صاحبه وان كان
الجمل الهائج باركا اتاه فضرب جنبه ليثني اليه عنقه كانه يريد
عضه فيضرب بيساره الى مشفره فيجذبه جذبة تنفصل بها بين ذايات

عنقه وان القناة قائما وثب وثبة فاذا هو في ذروة سنامه فعند
ذلك يصرفه كيف شاء ويلعب به كيف احب ونحن لا
نشك ان للفرس تحت الفارس غناء في الحرب لا يشبهه غناء ولذلك
فضل في القسم وانما ذلك بتصريف راكبه له وقتاله عليه فاما هو
نفسه فانه اذا كان او فرسا لاجا من الجاموس وخام عن قرنه
واستسلم لعدوه فانه من ها هنا لا يقدم على غيره ولم يكن الله
ليجعل جميع اقسام الخير في شخص واحد ولكن لما ان كان الفرس
عليه يقاتل الغيا واتباع الانبياء ملوك الكفار واتباع ملوك
الكفار حتى يقمع الله الباطل ويظهر الحق فلذلك قدمناه على جميع
البهائم والسباع وانما نقدمه في الوجه الذي قدمه الله فيه
ولعترض على اصحاب فرس لما معترضون فقالوا الفرس لا يكون الا
بهيمة والبهائم لا تصيد وتاكل صيدها وانما طعام الفرس النبات
وليس اللحم لها بطعام وقد قال النمر بن تولب

والخيل في اطعامها اللحم ضرر . نطعمها اللحم اذا عز الشجر .
في كلمته التي يقول فيها .
والله من آياته هذا القمر .
وقد يعلف في تلك الحالات اللحم اليابس وهبيس السمك فاما الهبيس
فلخيول اهل الاسياف خاصة . قيل لهولاء المعترضين على صاحب
الفرس قد يكون في الخلق المشترك وغير المشترك فالمشترك مثل
الانسان الذي ياكل الحيوان والنبات وهذا العصفور من الخلق المشترك
لانه ياكل الحب ويصطاد النمل الطيار والارضة فياكلها وياكل
اللحم والدجاج تاكل اللحم والديدان وتحسوا الدم وتلقط الحب .
والغراب لا يدع شيا الا اكله وما خرج من حد المشترك فهو كنحو
الذيب والضبع ونحو الشاهين والصقر فان هذه واشباهها لا تعرف
الا اللحم والحمام وضروب من الطير لا تعرف الا الحب والنبات .
فالمشترك اجمع ما هو غير مشترك والسمكة تاكل الطين والنبات .

وتاكل من الجيف التي تصير في الماء وتصاد بضروب من الحيوان تجعل
لها في الشصوص ثم ينصبون لكل ضرب من السمك بضرب من الطعم .
والجري ياكل الجرذان وتصيدها وهو آكل لها من السنانير والحيات .
والكلاب السلوقية وياكل الجري جميع جيف الموتى والسمك
ياكل السمك وياكل من كل حب ونبات يسقط في الماء .
فان استفهم مستفهم او اعترض معترض فقال وكيف يصيد الجري
الجرذان والجرذان ارضية بيوتية والجري مائي . قيل له
تخبرنا جميع من يبيت في السفن وفي المشارع في فيض البصرة عندنا
ان جرذانا لا نابير تخرج ارسالا بالليل الى الماء كانها بنات عرس
والجري قد كمن لها وهو فاتح فاه فاذا دنا الجرذ من الماء فعب
فيه التهمه ليس دون ذلك شي يحجز فم واسع يدخل في مثله
الضب الهرم وانما يضع خطمه على الشريعة . وسنذكر
شيا من الطرف والحكم والاشعار اذ كنا قد ذكرنا من الكلام

في الحيوان صدرا صالحا وابوابا جامعة ثم نعود في ذكر الفيل ان
شا الله والله الموفق

قال الشاعر

ونحن اناس لا حجاز بارضنا مع الغيث ما نلقي ومن هو غالب
وان قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب
ترى كل قوم ينظرون اليهم وتقصر عما يبلغون الذوائب

مثل قول الاخر

لكل اناس سلم يرتقى به وليس الينا في السلالم مطلع
ومن لنا الاعلى حجاز لمن به وكل حجاز ان هبطناه بلقع
وينفر منا كل وحش وننتمي الى وحشنا وحش البلاد فترتع

وقال حسان بن ثابت

وندمان صدق تقطر الخير كفه اذا راح فضفاض العشيات خضرما
وصلت به كفي وخالط شيمتي ولم ار عطا في الندامى ملوما
لنا حاضر فعم وباد كانه شماريخ رضوى عزة وتكرما

ولدنا بني العنقا وابني محرق فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال اعرابي غزلي

بنفسي واهلي من اذا عرضوا له ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

وقال اعرابي من هذيل

رعال ضمان الله يا ام مالك ولله ان يسقيك اولى واوسع
يذكرنيك الخير والشر والذي اخاف وارجو والذي اتوقع

قطعة من أشعار الاتعاظ

قال الشاعر

عليك من امرك ما تستطيع وما ليس يعنيك عنه فذر
وللصمت أجمل في حينه من القول في خطل او هذر
وكم غايب كان يخشى الردى فعاد واودى الذي في الحضر

وبينا الفتى يعجب الناظرين مال الى عطفه فانقعر

وبعض الحوادث ان بغته فان الفنا شانه والكبر

وكم من اخي نجدة ماهر تعلقه الدهر حتى عثر

وكم من اخي عثرة مقتر اتى له الدهر حتى انجبر

وقال علقمة بن عبدة

وكل قوم وان عزوا وان كثروا عريفهم باثافي الشر مرجوم

والحمد لا يشترى الا له ثمن مما يضن به الاقوام معلوم

والجهل منقصة شين لصاحبه والعلم اونة في الناس معدوم

وكل حصن وان طالت سلامته على دعائمه لا بد مهدوم

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم محروم

وقال عدي بن زيد العبادي وهو احد من قد حمل على شعره الحمل الكثير

ولاهل الحيرة بشعره عناية وقال ابو زيد النحوي لو تمنيت ان اقول

الشعر ما قلت الا شعر عدي بن زيد

كفى زاجرا للمرء ايام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تغو الذي بك يقتدي

فان كانت النعماء عندك لامرئ فمثلا بها فاجز المطالب او زد

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه فان القرين بالمقارن مقتد

ستدرك من ذي الجهل حقك كله بحلمك في رفق ولما تشدد

وظلم ذوي القربى اشد عداوة على المرء من وقع الحسام المهند

وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجرا اذا خطرت ايدي الرجال بمشهد

قال المهلب بن ابي صفرة عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا

يشتري الاحرار بمعروفه وقال عبد الله بن جعفر لرجل يوصيه

عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان تركته شانك ان سالته اعطاك

وان تركته ابتداك ان راى منك سيئة سدها وان راى حسنة عدها

ان وعدك لم يخلفك وان لجات اليه لم يرفضك

وسال يزيد بن المهلب رجل من اصحابه حاجة وذكر له خلة
فقال اوجه بها اليك ثم حمل اليه خمسين الف درهم ثم كتب اليه قد
وجهت اليك بخمسين الف درهم لم اذكرها تمننا ولم ادعها تجبرا
ولم اقطع بها لك رجاء ولم ارد بها منك جزاء فقيل ليزيد ما احسن
ما مدحت به قال قول زياد الاعجم

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة • اذا غير السلطان كل خليل

شبيه بقول الآخر

فتى زاده عز المهابة ذلة • وكل عزيز عنده متواضع

وقال الآخر وهو يدخل في باب الشكر

شوقي اليك يا ابا العباس • طرّما المثني تغاسي
اني لمعروفك غير ناس • والشكر قدما في خيار الناس

ابيات لبعض الشعراء العميان

انشد ابن الاعرابي لرجل من بني قريع يرثي عينيه ويذكر طيبهما

لقد طفت شرقي البلاد وغربها • فاعييا على الطب والمتطبب
يقولون استعمل نقاب اعين • وما خير عين بعد ثقب بمثقب
يقولون ماء طب خان عينه • وما ماء عين خان عينا بطبيب
ولله ايام انظر طيب بعيني • فظامي عالج فوق مرقب
اجم حديد الطرف ما خان عينه • شآبيب ماء المزنة المتصبب
كأن ابن محل مد فضل جناحه • على ما انسانيهما ماء طحلب

وقال الخزيمي

كفى حزنا ان لا ازور احبتي • من القرب الا بالتكلف والجهد
واني اذا حييت ناجيت قاتبني • لبعد لي قبل الاجابة في الرد
اذا ما افاضوا في الحديث تقاصرت • بي النفس حتى ما اجير وما ابدي
كأني غريب بينهم لست منهم • وان لم يحولوا عن وفاء ولا عهد
اقاسي خطوبا لا يقوم بثقلها • من الناس الا كل ذي مرة جلد

باب في الحاجة

قال ابن الاعرابي قيل للاحنف اتيناك في حاجة لا ترزؤك
ولا تنكؤك فقال ليس مثلي يؤتى في حاجة لا ترزأ ولا تنكأ
وقال اعرابي لرجل اني لم اصن وجهي عن الطلب اليك فصن وجهك
عن ردي وانزلني من كرمك بحيث وضعت وجهي من رجائك
وقال ابو عقيل بن درست لم يقض ذمام التأميل ولم يقم بحرمة
الرجاء الا من اعطاها حقها ووفاها حظها وعرف قدرها وكيف يستبقي
النعمة فيها وكيف الشكر على اداء حقها بالبشر عن الحاجة عند المسئلة
وقلة التضجر عند المعاودة وتوكيد الضمان عند العدة وانتهاز الفرصة
عند القدرة وتكون النجح المعجل احب اليه من العذر المصدق
وحتى يرى ان حقا عليه في بذل وجهك اليه اكثر من حقه عليك
في تحقيق أملك فيه ثم ايجاب سترها فان سترها هو المخبر عنها والدال
عليها والزائد في قدرها والمتولي لنشرها
وقال الشاعر

كأنّ احياءها اماتتها وان منّا بها يكدرها

باب في الوعد والوفاء
به والخلف له

قال عمرو بن الحرث لنت مني شئت ان اجد صفة من يعد وينجز
وجدته فقد اعياني من يعد ولا ينجز • وقال ابو اسحق النظام
كنا نلهو بالاماني ونطيب انفسنا بالمواعيد فذهب من يعد وقطعتنا
الهموم عن فضول الاماني • وقال الشاعر

قد بلونا بحمد الله ان لغني البلاء
فاذا اجل مواعيدك والجحد سواء

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم
مطل وتعليل • وذم اعرابي رجلا فقال اذا وعد صدق
واذا وعد كذب ويغضب قبل ان يشتم ويحزم قبل ان يعلم
وقال عبد الله بن قيس الرقيات

أخزيت عبد العزيز مرتغما والله للمرء خير من قسما

من البهاليل من آبائه بذداذ ما مدحته كرما

جاءت به حرة مهذبة كلبية كان بيتها دعما

من العرانين من قضاعة أمثال بنيهن تمنع الذمما

تكنه خرقة الدرفس من الشمس كليث يفرج الأجما

يقوت شبلين في مغارهما قد ناهزا للفطام أو فطما

لم يأت يوم إلا وعندهما لحم رجال أو يولغان دما

فنال أسهمه ابن ليلى ولكن ابن ليلى يفوقه شيما

من سيب البخت والولائد كالغزلان والخيل تعلك اللجما

يبذل لا إن لا المنكرة من فيه إلا مخالفا نعما

وقال زيادة بن زيد

إذا فرجة سدت عليك فروجها فأنت ملاق لا محالة مذهبا

فلم يجعل الله الأمور إذا اغتدت عليك رتاجا لا يرام مضببا

كذاك الفتى يوما إذا ما تقلبت به صبر فإن الأمور تقلبا

وإني لمزور قليل تقلبي لوجه امرئ يوما إذا ما تجنبا

قليل ليوم الشر ولمتعرضي فإن حل يوما قلت للشر مرحبا

ملأنا ولم نملك وقدنا فلم نقد وكان لنا حقا على الناس ترتبا

وقال هدبة العذري

فإن يك في أخي خير فقد فاتني الصبى وصيح بريعان الشباب فنفرا

أمور وألوان وحال تقلبت بنا وزمان عرفه قد تنكرا

أصبنا بما لو أن سلمى أصابه لسهل من أركانه ما توعرا

فإن ننج من أهوال ما خاف قومنا علينا فإن الله ما شاء يسرا

وإن غالنا دهر فقد غال قبلنا ملوك بني نصر وكسرى وقيصرا

وذي نيرب قد عابني لينالني فأعيا مداه عن مداي فقصرا

فإن يك دهر نالني فأصابني بريب فإن تسوي الحوادث معشرا

فلست إذا الضراء نابت بجبأ ولا جزع إن كان دهر تغيرا

وكان هدبه مثلا من شياطين عذره وهذا شعره كما ترى وقد امر
بضرب عنقه وشد خناقه وقليل ما ترى مثل هذا الشعر عند مثل هذه
الحال وان امرا مجتمع القلب صحيح الفكر كثير الريق عضب اللسان
في مثل هذه الحال لما هيك به مطلقا غير موثق واحيا غير خايف ونعوذ
بالله من امتحان الاخبار وهو القايل في تلك الحال

فلا تعذليني لا ارى الدهر معتبا اذا ما مضى يوم ولا اللوم مرجعا

ولكن ارى ان الفتى عرضة الردى ولاقي المنايا مصعدا ومفرعا

وان التقى خير المتاع وانما نصيب الفتى من ماله ما تمتعا

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا

ضروبا بلحييه على عظم زوره اذا القوم هشوا للفعال تقنعا

واحوى اذا ما زار بيتك زاير فبالليل يوما كان كالدهر اجمعا

سأخدم نفسي خلايق حمة ومجدا قديما طال ما قد ترفعا

فلم ار مثلي كاويا بالدواية ولا قاطعا عرقا سنونا واخدعا

وما انت ممن اربت الشر بينهم ولا حين جد الشر ممن تخشعا

وكنت ارى ذا الضغن ممن يكيدني اذا ما راني فاتر الطرف اخشعا

وما رأيت في الشعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي وطرفه بن
العبد وهدبه هذا فان شعرهم في الخوف لا يقصر عن شعرهم في
الامن وهذا قليل جدا

من أشعار الأعراب

انشدني ابن الاعرابي في معنى قوله

كمحض الماء ليس له اناء

وما كان مثلي يعتريك تجاوه ولكن اسات همه من فتى محض

واني واشرافي اليك بهمتي لكالمرتجي زبدا من الماء بالمخض

وقال الاخر في مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

فلولا اتقاء الله قلت مقالة تسير مع الركبان ابردها يغلي

ابن لي فكن مثلي او ابتغ صاحبا كمثلك اني مبتغ صاحبا مثلي

ولا يلبث الاصحاب ان يتفرقوا اذا لم يولف روح شكل الى شكل

فقال

لكل امرئ شكل يقر بعينه وقرة عين الفسل ان يتبع الفسلا

وتعرف في جود امرئ جود خاله ويندل ان يلقي اخا امه ندلا

وفي غير هذا الباب يقول الجرنفش اللص

ابلغ بني ثعل عني مغلغلة فقد اتى لك من ... بانضاج

اما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في جوف منحوت من الساج

وقال بعض اللصوص

اقيد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب ان ذا لعظيم

وان امرا دامت مواثيق وده على عشر ما بي انه لكريم

ومن المراثي المستحسنة قول حارثة بن بدر الغداني يرثي زيادا ابن ابيه

ابا المغيرة والدنيا مغيرة وان من غرت الدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة وكان عندك للنكراء تنكير

وكنت تؤتي فتؤتي الخير من سعة ان كان قبر المثني وهو مهجور

صلى الاله على قبر بمجنبة دون الثوية يسفي فوقه المور

وانشد ابن الاعرابي

وما حسب الاقوام الا فعالهم ورب حسيب الاصل غير حسيب

وقال الاخر في مثله

ليس الكريم بمن يدنس عرضه ويرى مروته تكون بمن مضا

حتى يشيد بناؤهم ببنائه ويزين صالح ما اتوه بما اتى

وقال عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان كرمت اوايلنا يوما على الاحساب نتكل

نبني كما كانت اوايلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء عيبا ان تكون فيه خلة من ثلث

ان يبدو له من اخيه ما يخفى عليه من نفسه او يعيب شيا ثم ياتي مثله

او يوذي جليسه فيما لا يعنيه   ووصف اعرابي رجلا

فقال آخذ الناس بما به أمر وأتركهم لما عنه زجر

من هجا امرأته

قدم أعرابي فحلف بطلاق امرأته على شيء فحنث ثم هرب فقال

لو يعلم الغرماء منزلتيهما ما خوفوني بالطلاق العاجل

قد ملتا ومللت من وجهيهما عجفاء مرضعة وأخرى حامل

وقال الأقرع بن معاذ القشيري

لعمرك إن المس من أم خالد إلي وإن ضاجعتها لبغيض

إذا افترشتانا بها فكأنما على الثوب نمل عارم وبعوض

وقال أعرابي يا له لامرأته وما الأعراب وهذا المذهب ولكن

كذا وقع والله أعلم بكثير من الرواية

لولا مخافة ربي أن يعاقبني وأنها عدة تقضى وأوتار

لقد جعلت مكان الطوق ذا شطب وتبت بعد فإن الله غفار

وقال بعض المولدين

تجهزي للطلاق وانصبي في ذا الحزاء الجوانح الشمس

لليلتي حين بت طالقة ألذ عندي من ليلة العرس

وأنشدني ابن الأعرابي لأعرابي

قد قرنوني بعجوز جحمرش ◦ نابتة الناب كزوم قفندش

كأنما دلاها على الفرش ◦ من آخر الليل كلاب تهترش

وجلدها من حكها القمل برش ◦ كأن طي بطنها طي كرش

فمها في حضن الضجيع تهمش ◦ تخشخش الضب دنا للمحترش

وقال رجل من بني نمير لامرأة وكانت حضرية

لعمري لأعرابية بدوية تظل بروقي بيتها الريح تخفق

أحب إلينا من ضنال ضفنة إذا رفعت عنها المراوح تعرق

كبطيخة البستان ظاهر جلدها صحيح ويبدو داؤها حين تفتق

وأنشد محمد بن سيرين في امرأته أو في غيرها

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

اسنانها مائية او زدن واحدة كأنها حين يبدو وجهها غول

وانما اكتب لك من كل باب طرفا لان خروجك من باب الى باب انفى للنشاط

ولو كتبته بكماله لكان اكمل وانبل ولكني اخاف التطويل وانت جدير

ان تعرف بالجملة التفصيل وبالآخر الاول

من هجا زوجته

قالت عصيمة الحنظلية

كأن الدار حين تكون فيها علينا حفرة مليت دخانا

فليتك في سفين بني عباد فتصبح لا نراك ولا ترانا

فلو ان البدور قبلن يوما لقد اعطيتها مائة هجانا

وقالت امراة من بني ضبة لزوجها

تراه اهوج ملعونا خليقته يمشي على مثل معوج العراجين

وما دعوت عليه قط العنه الا واخر يتلوه بآمين

فليته كان ارض الروم منزله وانني قبله صيرت بالصين

منحتكم المودة من فؤادي ومالي من مودتكم نصيب

وقال ابن مقبل

وكم من عدو قد شققنا قميصه باسمر عسال اذا هز عامله

وقال ابن مقبل

كأن دباباة شد الحزام بها في جوف موج في القرهب والحصر

يكاد ينشق عنه ميسل حاركه ثبت الخبار وبنت لوعت والغدر

وانشدوا

ولم اصطبح صهباء صافية القذى اكدر من ماء اللهابة والعجب

ولم اشهد في قوم كرام اعزة غطارفة شم العرانين من كلب

اللهابة والعجب ماآن من مياه كلب موصوفة بالعذوبة وهي في

ذلك كدرة وانشد ابن مزروع لعدي بن غطيف الكلبي

وكان جاهليا

املكنا الليل والنهار معا والدهر يغدو على الفتى جذعا

والشمس في رأس فلكه نصبت رفعها في السماء من رفعا

أمن مليط السماء مكتتم والناس في الأرض فرقوا شيعا

كما سطا بالإرام عاد وبالحجر وأنى لتبع تبعا

فليس فيما أصابني عجب إن كنت شيئا أنكرت أو صلعا

قال هو عاد بن عوص بن إرم وسطا بالحجر أي بأهل الحجر وأنى

أي لحين والإنى الإرجاء التأخير وقال كعب بن زهير

فعم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

وكما قال ذو الرمة

أخوها أبوها والضوى لا يضيرها

وقال سالم بن دارة

حدوت بهم حتى كأن رقابهم من السير في الظلماء خيطان خروع

وقال الآخر

وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام

وقال بعض المحدثين

كأن هامهم والنوم واضعها على المناكب لم تعمد بأعناق

وقال الكميت

وفي الذنابات إذا ما السنون التي من بركها كلكل

بعلم يقول له المولعون هذا المقيم لنا المرحل

وفيها يقول

ولم يدع جارك في النائبات سلبا يعلله الجلجل

وقال

الطيبون تراب المغارس والمنابت والمكاسر

والسابحون اللاحقون الأرض هتاب الماء ازر

أنتم معادن الخلافة كابرا من بعد كابر

بالتسعة المتتابعين خلائفا وبخير عاشر

وقال

ولا كن قوله الا للرايد ها اعشبت فانزل الى معشوشب العشب

ذهب الى قوله

مستاسد ذبانه في غيطل . يقلن للرايد اعشبت انزل

ولكن انظر كم بين الذباحتين وذهب في البيت الاول

الى قول الاعشى

ان الحيرات تلوت بهم وجروا السابل هدابها

قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه يقولون كونوا بلها

كالحمام لقد كان الرجل منهم يدعوا الصاحبه فيقول انا لله

فطنك قال وهذا يخالف قول عمر بن الخطاب حين قيل له فلان

لا يعرف الشر فقال ذاك اجدر ان يقع فيه

وقال النابغة

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وقال الاخر

ولا تعدد رايي في الاساة انه شرار الرجال من يسي فيعتذر

وقالت امراة في عمير بن معبد بن زرارة

اعيني الا فابكي عمير بن معبد وكان ضروبا باليدين وباليد

يقول بالسيف وبالقداح والقداح يضرب باليدين جميعا

وقال ابن مقبل

وللفؤاد وجيب عند ابهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

وقال ابن احمر

وفواده زجل كعزف الهدهد

وكان حسان يقول لقايد اذا شهد طعاما اطعام يدين ام

طعام يد . طعام يدين الشواء وما اشبه ذلك

وطعام يد الثرايد وما اشبهها . وقال بعض السلطان

لغلام من غلمانه وبين يديه اسير اضرب قال بيد او بيدين فجمع

يديه على مقبض سيفه وضرب عنقه • ثم قال له اضرب
يعني ابن الآخر فقال بين يدي ابيه قال بيتين فضربه بالسياط •
فقال له اذهب فانت حر وزوجه واعطاه مالا •
وسار رجل من الموالي من السعاة بابن له ذكر انه بموضع
كذا وكذا يشرب الخمر مع اصحاب له • فبعث غلاما له يتعرف
حاله في الشراب فلما رجع وجده عنده نائما فكره التفتيش • فقال
له متيم قال كان نقله جبنا قال انت حر لان معاقري الخمر ينقلون
بالجبن لاسباب كثيرة • وكان فرج
الحجام مملوك جعفر بن سليمن اذا حجمه او اخذ من شعره لم يتكلم •
ولم يتحرك ولم ياخذ في شي من الفضول • فقال جعفر ذات يوم
والله لامتحننه • فان كان الذي هو فيه من عقل لاثيبنه وان كان
كالطبيعة والخلقة لاحمدن الله على ذلك • فقال له
يوما ما اسمك يا غلام قال فرج قال فما كنيتك • قال لا اكتني بحضرة

الامير قال فهل تحتجم قال نعم • قال ومتى • قال عند هيجه • قال
وهل تعرف اوقات الهيج قال في اكثر ذلك • قال فاي شي
تاكل على الحجامة • قال اما في الصيف فسكباجة محمضة عنبية •
واما في الشتاء • فديكبراجة خاثرة حلوة فاعتقه وزوجه •
ووهب له مالا • وكان قاطع الشهادة ولم يكن احد من مواليه
يطمع ان يشهد الا على شي لا يختلف الفقهاء فيه • وهو الذي ذكره
ابو فرعون فقال

خلوا الطريق زوجتي امامي • انا حميم فرج الحجام •

وكان اهل المربد يقولون لا نرى الانصاف الا في حانوت
فرج الحجام لانه كان لا يلتفت الى من اعطاه الكثير دون من
اعطاه القليل ويقدم الاول ثم الثاني ثم الثالث ابدا حتى ياتي
على اخرهم على ذلك ياتيه من ياتيه فكان المؤخر لا يغضب ولا
يشكو • وقال ابن مفرغ في الصبي •

وكم عبرة [illegible] اول [illegible] ونعلم [illegible] اذا لم [illegible]

[illegible]

[illegible] وقول المرء ما لم يفعل

[illegible] فان سيفها كالاعزل

[illegible] نقابه عينه مهمل

تم السابع من كتاب [illegible] بحمد الله ومنه وهو آخر الكتاب

[illegible] في شهور سنة ثمان وخمس مائة

[illegible] وصلواته على [illegible] محمد النبي وعلى آله

الطيبين الطاهرين وسلم [illegible]

وحسبنا الله ونعم الوكيل